

جامعة محمد بوضياف المسيلة

فرع: العلاقات الدولية
تخصص: استراتيجية



كلية: الحقوق والعلوم السياسية
قسم: العلوم السياسية والعلاقات الدولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

تحت عنوان

تأثير البعد الهوياتي على بناء الدولة
(العراق ولبنان-أنموذجاً-)

إشراف الأستاذ:
زوبيري عبد الله

إعداد الطالب:
ريغي صادق

لجنة المناقشة:

رئيساً.
مشرفاً.
مناقشاً.

جامعة المسيلة
جامعة المسيلة
جامعة المسيلة

د/ حسين سالم
د/ زوبيري عبد الله
د/ طيايبة ساعد

تاريخ المناقشة: 2019/07/02

السنة الجامعية 2018-2019

الشكر والنقابة

نحمد الله سبحانه و تعالى أن وفقنا الى اتمام هذا العمل،،

هذا واتقدم لأستاذي المشرف الدكتور **عبد الله زوبيري** بعظيم عبارات التقدير والاحترام على تقبله مسؤولية الاشراف على هذه المذكرة وعلى نصائحه وتوجيهاته وتشجيعاته.

وإلى كافة اساتذة قسم العلوم سياسية الذين عكفوا على تكويننا في فترة ما قبل التدرج وما بعد التدرج

الى كافة زملاء الدراسة على التشجيع والتمنيات بالتوفيق

وإلى كل من كان له اسهام من قريب او من بعيد.

أهدي ثمرة جهدي هذا :

إلى من لا يغلى عليهما غال ولا نفيس ولا بديل لهما في هذه الدنيا ، إلى من أرضعتني قوة و أطعمتني صبرا
وسقتني من بحر الأخلاق "أمي" الغالية
إلى من علمني ان الدنيا كفاح وتحدي ،
و الحياة مبادئ و أخلاق "أبي" حفظه الله

إلى الشموع التي اهتدي بنورها في ظلمة الحياة الى اللآئى التي زين بريقها حياتي
إخوتي محمد و فارس

و أخواتي أمينة و مريم و وهيبة

و إلى جدي و جدتي رحمهما الله

و إلى كل أفراد أسرتي أعمامي و أخوالي

و إلى من امتزجت أمانى بأمالهم و أحلامي بأحلامهم إلى أصفياء قلبي ورفقاء دربي ، حويش طارق
عزيز، زعيتر ياسين ، فيصل حجاري، ريغي عبد اللطيف.

و إلى كل الأصدقاء و الخلان

السعيد فقريش ، بحاش فارس ، عبد الرحيم يطو ، صلاح الدين مهدي ، عبد الجبار عروسي ، عربية فارس

، فايد إسماعيل ، بوبكر حمودي، نويوة عبد الغاني ، محمد مهني، اودينة هيثم، سفيان بولعراس ، قويدر

مهدي ، الأزهر العبيدي ، عبد الحق بن فرشيش ، محمود مقران ، محمد فارح ، و الأخ المرحوم شنيطي محمد ،

شفيق تيطراوي ، جمال مختاري ، رحيم ميزي ، عريش وليد ، كما أخص بخالص المحبة أهلي و جبرتي ،

الأخ بوطي محمد ، حمزة ميرشيش، هشام منصور، مقران إيهاب ، محمد هجرسي ، أسامة دحماني ، و

المسعود الروبو ، و حكيم مهدي ، عبد الوكيل جوابري ، حمزة زيان ، محمد زعيتر، مقدود محمد ، هشام

سليمانى ، كريمو صوشي ، حمزة الشرطي ، و الأستاذ صريدي العمري ، و المربي بوطي الفضيلي ، عبد

السلام فايد ، إلياس رقيق ، نعيجي عادل ، مقران الشعبي ، فريد فوفو ، عبد الحميد مجادي

عبد الوهاب ، صلاح، بلال، وعزالدين زعيتر، أيوب ، عثمان سي يوسف، رشيد حيرش، جمال بلعباس

ورفيق الحراك عومار جوابري

كما أخص بعظيم التقدير أستاذي الحكيم عبد الرحمان فايد و معلمي فايد عبد الحكيم و موسى تواتيت و

زيتوني دليلة و وهيبة قلمين

وكل الزملاء والزميلات مع حفظ الأسماء والمقامات ، و إلى كل رفاقي في قسم العلوم السياسية و العلاقات

الدولية، وإلى كل اساتذتي الذين كان لهم عظيم الأثر في مشواري الدراسي إلى أهلي وجبرتي و أبناء

عمومتي و كل عائلتي ريغي و زعيتر .

خطة الدراسة:

مقدمة.

الفصل الاول : الإطار المفاهيمي والمداخل النظرية لمفهوم الهوية

وعلاقته ببناء الدولة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لمفهوم الهوية.

المطلب الأول: مفهوم الهوية وماهيتها.

المطلب الثاني: وظائف الهوية ودورها وعناصرها.

المطلب الثالث: مستويات الهوية وعلاقتها ببعض المفاهيم الأخرى.

المبحث الثاني: المداخل النظرية المفسرة للهوية وعلاقتها بنشأة الدولة.

المطلب الأول: المقاربة الاثنوية الواقعية.

المطلب الثاني: المقاربة التنظيمية.

المطلب الثالث: علاقة الهوية بنشأة الدولة.

الفصل الثاني: أزمة الهوية وعلاقتها ببناء الدولة العراقية واللبنانية.

المبحث الأول: نشأة الدولة العراقية و إنقسامها الهوياتي و الطائفي .

المطلب الأول: نشأة الدولة العراقية الحديثة .

المطلب الثاني: أهم الهويات الطائفية في العراق .

المطلب الثالث : صراع الهويات و أثره على بناء الدولة العراقية .

المبحث الثاني: نشأة الدولة اللبنانية واهم تقسيماتها الهوياتية والطائفية.

المطلب الأول: نشأة الدولة اللبنانية تاريخيا.

المطلب الثاني: اهم تقسيماتها الهوياتية والطائفية.

المطلب الثالث: أثر الهوية الطائفية في بناء الدولة اللبنانية.

خاتمة

مقدمة

إن شعوب العالم وأممه متشابهة من موقع كونها شعوب تشترك في أن لها آمالاً وأحلاماً ومشاكلات لكنها متميزة من موقع هويتها، فالشعوب والأمم لها هوياتها الخاصة بها والتي تميزها عن غيرها من بقية المجموعات البشرية الأخرى في هذا العالم فالهوية الوطنية الجامعة التي تقوم عليها الدول وتعرفها بانها مصدر الوفاق الذي تبدأ منه وحدة الدولة وتنتهي إليه، كما أنها لا تعني أن الأصل واحد، العرق الهوياتي واحد وأن تنوع تلك المفردات الاجتماعية لا يعني أن لكل أصل منها دولة مستقلة، فمفهوم الهوية الوطنية في الدولة الحديثة لا يتطابق مع مفهوم الأمة.

فالعراق ولبنان دولتان تمتازان بالتنوع الهوياتي والانقسام الطائفي ويغلب فيهما الانتماء للطائفة والإثنية على الانتماء للدولة وحتى قبل ظهور الدولة الحديثة بمعطياتها الجديدة بعد مشروع سايكس بيكو وحتى فترة الحكم العثماني كان التناحر هو السمة البارزة بين مختلف الطوائف التي أسست لصراع هوياتي تمتد آثارها حتى يومنا هذا.

إن الهوية الوطنية الجامعة هي مرحلة تاريخية ووعي متطور على وعي الانتماء الفرعي الضيق وهو وعي مقترن بوجود ونشوء الدول، ومن جهة أخرى إن هذه الهوية هي الرباط العصبوي الذي يجمع ويوحد أفراد هذه المجموعة ويجعل منهم شعوباً وأممياً وتمثل الهوية من المنظور السياسي محوراً مركزياً في عملية بناء السلطة والدولة التي قد تتأسس على هوية مجتمعية موحدة يتواضع ويبادر إليها الأفراد.

(1): أهمية الدراسة :

(أ) الأهمية العلمية:

- يتميز موضوع الهوية بأهمية جدّ بالغة لأنه يعتبر من القضايا السياسية ذات التأثير في علاقة الدول ببعضها.

- طبيعة الموضوع الفكرية التي تغري الباحثين بالإسهاب والتمعن للخروج بنتائج بحثية تؤسس لأراء اتجاه الموضوع .

- محاولة الإلمام بظاهرة الهوية و انعكاساتها على بناء الدولة لإيجاد تفاسير وإعطاء حلول.

ب) الأهمية العملية :

تكمن أهمية الدراسة العملية في مايلي :

- استقرار الدول يعتبر من الزوايا المظلمة التي تكتسي أهمية بالغة.
- الإحاطة بكل مشاكل الهوية في العراق ولبنان بسلبياتها وإيجابياتها ومدى تأثيرها على وحدة الدولتين (العراق، لبنان) .
- استكشاف الفواعل التي رسخت للصراع الهوياتي.
- التوصل إلى معرفة الفواعل الغير وطنية (الأجنبية في إنكاء الصراع الهوياتي).

(2) أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التالي:

- تفسير مفهوم الهوية وتحييده عن باقي المفاهيم الأخرى المرتبطة به.
- الإلمام بطبيعة أسباب التنافر الهوياتي في العراق ولبنان.
- الوقوف على أهم الآثار الاستقطاب الهوياتي وإنعكساته على البناء المؤسسي للدولة وأجهزتها.
- استشراف الأفاق المستقبلية للبعد الهوياتي للدولة العراقية واللبنانية والسبل التي يمكن وضعها للإبقاء على وحدوية الهوية الوطنية.
- الإحاطة التحليلية بواقع وتجليات مشروع الشرق الأوسط الجديد والحدود الجديدة.

3) أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وموضوعية:

أ) الأسباب الذاتية:

- الإلمام الشخصي بهذا الموضوع محل الدراسة واعتباره أحد الأسس التي تتشكل منها واقع الصراعات الدولية.
- الرغبة في الإطلاع أكثر على مختلف الوقائع والتهديدات التي تواجه المجتمعات العربية.
- الرغبة في معرفة التطورات السياسية في العالم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ب) الأسباب الموضوعية:

- معاناة الدول العربية من مختلف المخططات الاستعمارية ومحاولة رسم حدود جديدة.
- وقوع لبنان والعراق في أهم مناطق التوتر العالمي (الشرق الأوسط).
- تصاعد التطرف الهوياتي الديني وعدم تقبل فكرة التعايش بين الطوائف الدينية (السنة والشيعية في العراق، والمسيحيون والمسلمون في لبنان).

4) إشكالية الدراسة:

يعتبر موضوع الهوية من أهم المواضيع التي يتناولها المفكرون السياسيون ومن المواضيع التي يدور حولها النقاش لما لها من أثار سياسية واقتصادية واجتماعية، في ظل هذا الجدل الذي تتميز به هذه الدراسة نطرح الإشكالية التالية:

- كيف يؤثر المحدد الهوياتي على بناء الدولة في كل من العراق ولبنان ؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية التالية:

_ ما المقصود بالهوية، وما علاقة هذه الأخيرة ببناء الدولة؟

- هل يمكن للعراق ولبنان أن يحققا الاستقرار المجتمعي في ظل أزمة الهوية الطائفية؟

- ما طبيعة الآثار التي تخلفها الهوية على بناء الدولة في العراق ولبنان؟

(5) فرضيات الدراسة :

لمحاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة تم اختيار الفرضيات التالية :

الفرضية العامة:

ساهم تفاقم الصراع الهوياتي في كل من العراق ولبنان في اعاقه عملية بناء الدولتين.

الفرضيات الجزئية:

- ان طبيعة النظام السياسي السائد يغذي وينمي الصراعات والنزاعات لدى الهويات الطائفية.

- كلما زادت مشاكل الهوية في كلا الدولتين، زاد حجم الانقسام والتفكك المجتمعي.

- الانعكاسات الطائفية لآراء رجال الدين خارج لبنان والعراق .

(6) الدراسات السابقة:

رغم كون الموضوع مستجد بعض الشيء إلا أن هناك بعض الدراسات تتعلق به نذكر منها:

أ- دراسة لحبيب الصالح المهدي المعنونة بدراسة "في مفهوم الهوية الوطنية"، صادرة سنة

2009 عن كلية التعليم التقني جامعة الموصل و قد تطرق فيها الكاتب إلى مفهوم الهوية

بالشرح و التحليل و الإسناد اللغوي و الإصطلاحي و الفلسفي كما ربط بينها و بين العديد

من المفاهيم السياسية و العلمية و طابق بينها و بين العديد من الوقائع المجتمعية و من خلال ما سبق ذكره كان تقييمه لمعضلة الهوية سلبيا بالأساس.

ب- دراسة باسم عبد عون فاضل المعنونة "بصراع الهويات وأثره على بناء الدولة العراقية" الصادرة سنة 2015 عن مركز الفرات بکربلاء في العراق و التي استعرض فيها معضلة الهوية في العراق و علاقتها بالطائفية الدينية منذ استقلاله و الدواعي الداخلية و الخارجية المؤججة لأسباب الصراع كما تطرق فيه إلى ظروف بناء الدولة العراقية في ظل هذه المتغيرات و التجليات و لم يكتفي بالحديث عن السياسة و تجاوزها إلى أثر الصراع الهوياتي على الاقتصاد و البحث العلمي ، و يظهر جليا مما سبق تحميله مشكل الصراع الهوياتي لكل ما عايشه و يعايشه العراق ماضيا و حاضرا .

ج- دراسة مسعود ظاهر المعنونة "باستقلال لبنان في حقائقه التاريخية و ميثاقه الوطني و صيغته الطائفية" الصادرة عام 1977 عن دار الفارابي ببيروت و قد أجلى فيها الكثير من اللبس حول أسباب تنامي الصراع الهوياتي الطائفي و تأثيره على وحدوية الدولة اللبنانية كما استعرض أهم المحطات التاريخية لکرونولوجيا استقلال لبنان و نشأته الحديثة و بالعودة إلى ما سبق فإن تقييمه للأوضاع و الأسباب كان موضوعيا و أسهم بشكل كبير في إجلاء اللبس عن تاريخ لبنان الحقيقي.

(7) مفاهيم الدراسة:

تضمنت الدراسة مجموعة من المصطلحات المتنوعة من بينها :

(أ)_الهوية الوطنية :هي الهوية التي تستخدم للإشارة الى وطن الفرد و انتمائه إلى دولة معينة.

(ب) _ **المواطنة:** هي الصفة التي تمنح للمواطن والتي تتحدد بموجبها عدة أمور منها الحقوق والواجبات.

(ج) _ **الدولة:** هي تنظيم سياسي للمجتمع أو هيئة سياسية أو تحديدا مؤسسات حكومية وهي شكل من اشكال المؤسسات الانسانية الاخرى .من خلال الغرض الخاص بها وهو تأسيس الامن والنظام.

(د) _ **الموارنة:** وهي مجموعة دينية تقطن في سواحل بلاد الشام تدين بالمسيحية ويتركزون في لبنان ويتبعون الكنيسة المارونية، تعود تسميتهم إلى الراهب السرياني مارون الذي عاش في شمال سوريا.

(هـ) _ **السنة:** هم أهل السنة والجماعة وهم مجموعة دينية من المسلمين في معظم الفترات في تاريخ الاسلام .وينتسب اليهم غالبية المسلمين.

(و) _ **الشيعة:** هي تسمية تطلق على ثاني اكبر طائفة من المسلمين .وهم عرفوا تاريخيا شيعة وأتباع الإمام علي وآل البيت .

(ز) _ **الدروز:** الدروز ويسمون انفسهم الموحدون هم عرقية دينية عربية ندين بمذهب التوحيد نو التعاليم الباطنية حسب بعض الباحثين وتعود أصولهم الى الاسماعلية إحدى المذاهب الإسلامية وتعود جذورهم العرقية الى غرب آسيا.

(ح) _ **المحاصصة:** هي تقسيم السلطة ومؤسساتها ومناصبها على أهم المكونات الهوياتية للدولة.

(ط) _ **بناء الدولة:** يراد بها إقامة كاملة لمؤسسات الدولة وتنظيم الحياة وفق مبادئ دستورية وقانونية يتفق عليها الجميع.

8) المداخل النظرية للدراسة :

أ) النظرية الاثنو واقعية: ويعتبر الأمريكي "هانز مورغانو" أحد أبرز منظريها لأنها تسهم بشكل مباشر في تحليل الظاهرة المدروسة والتي تركز على دور القوة كمرتكز في العلاقات الدولية لتحقيق المصلحة الوطنية لأي دولة. إلا أنها تغير وحدات التحليل فيها بحيث أصبحت المجموعات العرقية والطائفية هي الوحدات المعتمدة فيها حيث اعتبرت هذه المقاربة الدولة بوصفها وحدة التحليل هذا لم يساعد في تفسير وضع الاقليات وتفاعلها في عالم ما بعد الحرب القطبية الثنائية هذا وترى بوجود عاملين لبروز الاقليات .

ب) نظرية النظم: يعود الفضل في ادخال التحليل النظمي الى حقل علم السياسة للمفكر الأمريكي "دافيد إيستون" والذي اعتمد في تحليله للنظام السياسي باعتباره يتكون من العديد من العمليات منها المدخلات حيث تكمن اهمية المقاربة النظمية في معرفة تأثير الأحداث والظروف المتواجدة في البنية المحيطة بالنظام ومنها المطالب المختلفة للأقليات إضافة الى باقي العمليات المتتالية الاخرى.

9) الإطار المنهجي للدراسة:

أ) _ المنهج التاريخي: وهو احد المناهج المستخدمة في مثل هذه المواضيع والذي يساعد على تتبع واستقصاء الظاهرة الهوياتية في لبنان والعراق وسرد الاحداث لتطور الازمة لما ميزها من نزاعات وتطورات للوضع الهوياتي والطائفي من فترة ماضية وربطها بالحاضر.

ب) _ المنهج الوصفي التحليلي: وتستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف طبيعة المجتمعات المنقسمة هوياتيا و الأحداث المتعلقة بها واهم الآليات للحد من آثارها السلبية وللتعرف على اسبابها ثم تحليل النتائج المترتبة عنها، من خلال تطور المشكلة والظاهرة، والعلاقة بينها وبين الفواعل الأخرى المتداخلة معها، لتفسير الظاهرة من زوايا وأبعاد مختلفة.

ج) منهج دراسة الحالة: وهو منهج يعنى بالدراسة الحثية لظاهرة ما ويهتم بدراسة جميع الجوانب المتعلقة بالظواهر. وفي هذه الدراسة يطغى هذا المنهج على تفحص الحالة اللبنانية والعراقية من جميع جوانبها والتي تعتبران من أبرز ظواهر البعد الهوياتي و اعتبارهما موضوعا للدراسة.

د) المقرب القانوني: ويستند الى مجموعة القوانين والداستير التي تحاول التوفيق بين مختلف الهويات وتطبيق المساواة والعدالة من خلال الاستعانة بما اتفق عليه من معاهدات واتفاقات، من أجل معرفة درجة تطابق هذه النصوص مع النموذج التوافقي في لبنان والعراق.

10) حدود الدراسة: تتمثل الحدود الزمانية للدراسة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى الى غاية الألفية الجديدة.

11) صعوبات الدراسة:

واجهت هذه الدراسة العديد من الصعوبات من بينها ندرة المادة العلمية والمصادر والمراجع الموثوقة والمتعلقة بموضوع الهوية خاصة الجانب الحيادي من قبل الدارسين والمهتمين إذ أن الذاتية و الانتماءات تطغى على غالبية الدارسين.

-صعوبة الاحاطة الكافية بموضوع الدراسة نظرا للثرة الآراء وتشعبها في حول موضوع الهوية و إفرازاتها على الدولتين محل الدراسة بالإضافة لكون موضوع الدراسة مستحدث.

قرب المفاهيم إلى بعضها كالطائفية، و الاثنية، والهوية الوطنية.

12) تقسيم والدراسة:

تتناول هذه الدراسة الموضوع في فصلين إضافة الى مقدمة وخاتمة ويهدف الفصل الأول الى التأصيل المفاهيمي والنظري لمفهوم الهوية و علاقته بنشأة الدولة حتى يتم الإحاطة بالقضية محل الدراسة من الجانب العملي ويتكون هذا الفصل من مبحثين يدرس المبحث الأول الإطار المفاهيمي والنظري للهوية كمفهوم الهوية والمفاهيم المرتبطة بها وكذا أدوارها و وظيفتها وعناصرها و علاقتها ببعض المفاهيم المشابهة.

أما المبحث الثاني فيدرس المداخل النظرية لموضوع الهوية ويتضمن أهم النظريات المفسرة للهوية كالنظرية الإثنوواقعية ونظرية النظم بالإضافة لعلاقة الهوية بناء الدولة و آراء بعض المفكرين.

و الفصل الثاني يتطرق إلى بناء الدولتين العراقية واللبنانية وأزمة الهوية الطائفية بمبحثين المبحث الأول يتضمن استقلال ونشأة وبناء الدولة العراقية وأثر البعد و الانقسام الهوياتي.

أما المبحث الثاني فيتضمن استقلال ونشأة الدولة اللبنانية في ضوء الصراع الهوياتي الطائفي وأهم آثاره على بنائها و بقائها.

الفصل الأول:

الإطار المفاهيمي والمداخل

النظرية لمفهوم الهوية وعلاقته

ببناء الدولة.

تمهيد:

لكل شيء في الكون هوية دالة على وجوده ومميزة له عن باقي الموجودات، وهناك هويات متجددة ثابتة وتعتبر الهوية العرقية المشكل الأول للهوية الإنسانية ويحملها الإنسان قسراً دون اختيار مسبق منه، وهي غير قابلة للتغيير على المستوى الجيني مع قابلية تغييرها والتخلي عنها في الأوراق الثبوتية التي يختارها الفرد للتعبير عن نفسه كما يمكن التخلي عنها من خلال المظهر الثقافي والذي يعكس الانتماء لهذه الهوية. وهي الأساس الذي تتشكل على أساسها العديد من الهويات المتداخلة والتي يكتسبها الإنسان منذ الميلاد وقبل أن يتفاعل حتى مع وسطه الاجتماعي وقبل أن يتعرف على ماهيته وماهية الأشياء من حوله وقبل اكتسابه للثقافة، واللغة، والدين بالإضافة إلى هويات أخرى يتم تحديدها لاحقاً كالانتماء لجماعة دينية أو مهنية أو حزبية أو ثقافية. وبناءً على ذلك تفسر الهوية على أنها الكيفية التي يعرف الناس بها أنفسهم ويوصفون بها تأسيساً على العرق، الإثنية، المواطنة، الانتماء إلى أرض واحدة وتاريخ وعقيدة مشتركة، وبناءً على ما سبق الإطار المفاهيمي للهوية كمبحث أول والتأسيس النظري كمبحث ثاني.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والتأسيس النظري للهوية.

يعتبر الإطار المفاهيمي والنظري للهوية مدخلا عاما وأساسيا للإمام بشتي تعاريفها واصطلاحاتها التي تبنى عليها دراسة موضوع كما تم التطرق إلى العديد من المفاهيم المرتبطة بالهوية كالعرقية والمواطنة والعرقية في هذا المبحث الأول الذي تناول في ثلاث مطالب ففي المطلب الأول تناولنا ماهية الهوية ومفهومها والمطلب الثاني وظائف الهوية وفي المطلب الثالث تم تناول مستويات الهوية وعلاقتها ببعض المفاهيم المشابهة لها.

• المطلب الأول: ماهية الهوية

أولاً: تعريف الهوية

1) التعريف اللغوي:

وردت لفظة الهوية بضم الهاء وكسر الواو وشد الياء في اللغة العربية للتعبير عن ماهية الشيء ويقال (هو) ضمير الغائب المفرد المذكر، ويقال للمثني (هما) وجمع المذكر (هم) كما يقال للمؤنث المفرد (هي) وللمثني (هما) وللجمع (هن) والهوية لفظ مركب جعل إسماً معرّفاً باللام ومعناه الإتحاد بالذات، واصطلاحاً عرفت الهوية بأنها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، أي ما يكون به الشيء هو، ولا يمكن معرفة هوية أي إنسان من دون الصفات التي تخصه دون سواه.¹

كما عرفت الهوية أيضاً بأنها (الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال (النواة على الشجرة في الغيب المطلق)، فالشجرة لا تكون شجرة إلا بأن تكون تلك الشجرة وبأن تحمل أوراقاً وأزهاراً وثماراً، بأن تمر عبر لحظات ضرورتها وتحفظ داخلها بتلك

¹ حبيب صالح مهدي، دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات اقليمية، كربلاء، ع (05)، 2015، ص 02.

اللحظات التي يستطيع التحليل أن يصل إليها ولكن يجب ألا يعزلها، بالإضافة إلى ذلك فإن الزهرة تتحول إلى (ثمرة، والثمرة تنفصل لتنبت شجرة أخرى، وهذا التعريف يتضمن معاني فلسفيه تشير في اعتقاد الباحث إلى أن الهوية قد تؤثر وتتأثر فتتفاعل وتتجدد باستمرار لكن يظل هنالك دائماً وأبداً جزءاً أصيلاً في ماهية الشيء دال على كينونة مطلقة وثابتة. وبما أن لكل شيء من الأشياء إنساناً أو ثقافة أو حضارة "الثوابت" و"المتغيرات" فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، وتتجلي وتفصح عن ذاتها دون أن تترك مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلي وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلي مكانها لغيرها من البصمات.¹

وفي ذات الاتجاه وعند تتبع معاني اللفظ في الأدبيات المعاصرة نجد أن كلمة (الهوية) تستعمل لأداء معني كلمة (identity-identite) في اللغتين (الإنجليزية والفرنسية) علي التوالي والتي تعبر عن معني المطابقة: "مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقتها لمثله" ولذلك فإننا إذا اعتمدنا علي المفهوم اللغوي لكلمة (هوية) أو اعتمدنا علي استعمالها في معاجم العلوم الإنسانية المختلفة.

وبهذا فإن المعنى العام للهوية لا يتغير، وهذا ما أكده علماء المنطق في شرحهم لقانون الهوية أو الذاتية والذي يعتبر أحد قوانين المنطق الثلاث التي وضعها الفيلسوف اليوناني أرسطو و ينص على: أن "الشيء هو نفسه" وهو يعبر عن أبسط الأحكام لأن أبسط الأحكام هو الحكم بأن الشيء هو نفسه مثل أن نقول الإنسان هو الإنسان والمرأة هي المرأة، ورمز هذا القانون (أ) يساوي (أ) ويرى أرسطو أن هذا القانون هو أساس التفكير

¹ حسن درويش العدلي، المواطنة ودورها في ترسيم الوحدة الوطنية: اشتراطات تغدو سجننا للحرية، جريدة الصباح البغدادية، ع 1319، 12 فيفري 2008، ص 12.

المنطقي لأنه يشير إلى ضرورة التقيد بذاتية مدلول اللفظ الذي نستخدمه فلا نخلط بين الشيء وما عداه، ولا نضيف للشيء ما ليس فيه وعلى ذلك فهو يؤكد وجود علاقة مساواة بين طرفين متطابقين، مما من شأنه أن يضبط التفكير ومخالفة هذا القانون يوقعنا في التناقض، ويؤدي إلى فساد الاستدلال وأن هذا القانون يجب أن يعمل ليس في عملية الاستدلال أو البرهان فقط، لكن في حياتنا اليومية فلكي نفهم بعضنا البعض يجب أن نتحدث بلغة واحدة لا يحتمل أي لفظ.

(2) التعريف الاصطلاحي:

هي إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم، فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته و أمومته ومواطنيته، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح وتعرف المواطن جزءا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها على أنها (عضوية كاملة تنشأ من علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات كدفع الضرائب والدفاع عن البلد، وبما تمنحه من حقوق كحق التصويت وحق تولي المناصب والمواطنة دونما اشتراطات تغدو سببا للحرية العامة في الدولة والإرادة فدولة المواطنين هي دولة الأحرار، لا دولة العبيد والرعايا، وهي دولة الحقوق قبل إن تكون دولة الواجبات، واشتراط الحرية مقدم على اشتراط التكليف شرعا وعقلا.¹

وفي ثورية بليغة يقول (سليم الحص) إنا لبناني، عربي، مسلم، ولا أنسى إنني من البشر
إنني من البشر المؤمنين بأن الإنسان أخو الإنسان

¹ حبيب صالح مهدي، مرجع سبق ذكره، ص 03.

تعرف الهوية في الفلسفة بأنها حقيقة الشيء المطلقة التي تشتمل على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما أنها خاصية مطابقة الشيء لنفسه أو مثيله، أي أنها مجموعة من السمات التي تسمح بتعريف موضوع معين، مع إدراك أن هناك تجددًا في ظهور عناصر جديدة عند التحديد والتعريف، وأن السمات التي تنطلق من معايير نموذجية تسمح بمعرفة العناصر التي تشكل وحدة الهوية.

وجاء في كتاب (الكليات) لأبي البقاء الكفوي: أن ما به الشيء، باعتبار تشخصه، يسمى هوية، وقال أيضًا: إن الأمر المتعلق من حيث إنه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية.¹

وفي كتاب (التعريفات) للرجاني: الهوية هي الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق.

وسواء اعتمدنا المفهوم اللغوي لكلمة (هوية)، أو استندنا إلى المفهوم الفلسفي، فإن المعنى العام للكلمة لا يتغير، وهو يشتمل: (الامتياز من الغير، والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات، ومن قيم ومقومات.²

نخلص من ذلك إلى أن مفهوم الهوية الوطنية في كل جماعة هي الخصائص والسمات التي تتميز بها، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الجماعات كل معاني وجودها واستقرارها، بل يستوي وجودها

¹ رغيذ الصلح، الهوية الوطنية وتكوين الدولة، ط 1، بيروت: دار الساقى للنشر، 2006، ص 52.

² كامل داود، مقارنة الى مفهوم الهوية الوطنية، الحوار المتمدن نشر بتاريخ 22.12.2008 على الموقع:

<http://www.m.ahewer.org.com> اطلع عليه يوم: 27.05.2019 على الساعة: 23.14.

من عدمه. وهذه السمات تعبر عن كيانٍ ينصهر فيه أفرادٌ منسجمون ومتشابهون بتأثيرٍ من هذه الميزات والخصائص التي تجمع ما بينهم. ومن منطلق هذا الشعور الوطني، فإن كل فردٍ يستمد إحساسه بالانتماء والهوية، ويشعر بأنه ليس مجرد فرد نكرة، وإنما هو مشتركٌ مع مجموعةٍ كبيرة من الأفراد في عددٍ من المعطيات والأهداف والمكونات، إضافةً إلى انتمائه إلى ثقافةٍ مركبة من جملةٍ من الرموز والمعايير والصور.¹

المطلب الثاني: وظائف الهوية ودورها وعناصرها

هناك آراء مختلفة حول وظيفة الهوية ودورها في حياة الأفراد والجماعة الإنسانية، وفي هذا الصدد يشير (عز الدين المناصرة) إلى تيارين، تيار يقدر الهوية، وتيار يدنس الهوية ويعتبرها وهماً، فكلاهما يرتكزان إلى حدّي التطرف من الثبات إلى التفكك، حيث يرفض تيار التقديس حركية الهوية وقابليتها للامتصاص والتحول، أما تيار تدنيس الهوية فيلجأ إلى تجاهل أهمية ودور الهوية باغتيال الأصل والأصلاحي في الهوى وهذان التياران يمثلان اتجاهين مختلفين،² في النظر إلى أهمية الهوية ودورها وتحديد وظيفتها، في الحياة السياسية للجماعات للبشرية، فهناك من يقدر الهوية، ويعطيها تأثيراً ودوراً فعالاً ومؤثراً في العلاقات بين الجماعات، وهناك من يعتبر الهوية وهماً واختراعاً أيديولوجياً لتغطية المصالح في الصراعات بين الجماعات، وهناك آراء تتراوح بين هذا وذاك، ويربط (برهان غليون) بين النهضة وأهمية التعرف على الذات، أي تحديد الهوية، ويقول بان موضوع النهضة يخفي في الواقع موضوعاً آخر لا يقل عنه أهمية، وهو موضوع الذاتية، فالجماعة كالفرد لا تستطيع أن

¹ باقر جاسم محمد، مفهوم الهوية الوطنية: محاولة في التعريف الوظيفي، الموقع نفسه.

² عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية: قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، القاهرة: دار مجداولوي للنشر،

2004، ص 48.

تبادر إلى عمل أو تقوم بإنجاز مشروع، مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها، وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة، أي تعرف أيضاً ما هي وما تريد أن تكون عليه وقبل أن تريد تحقيق شيء، يجب أن أدرك من أنا، وقبل أن أغير وأطور وأنهض لأبد لي من أن أكون ذاتاً، أي إرادة.¹

ويقول (صموئيل هيننتغتون) بأن المصالح الوطنية تُشتق عن الهوية الوطنية، وعلينا أن نعرف من نحن قبل أن نتمكن من معرفة ما هي مصلحتنا،² وبذلك فإنه يربط بين معرفة الذات وتحديد الهوية وبين تحديد المصالح، ويشير (هيننتغتون) إلى أنه إذا جرى تعريف الهوية الأمريكية بمجموعة مبادئ معينة، فيفترض عندئذ أن يكون السلوك على أساس هذه المبادئ، وبذلك تولد تعاريف معينة للهوية الوطنية من مصالح وطنية وأولويات سياسة مختلفة، والصراع على ما يجب أن نفعل في الخارج متجذر في الصراعات على حقيقة ما نحن في الوطن، ويقول باحث آخر أن للهوية دوراً وتأثيراً كبيرين في ترسيخ الوحدة الوطنية بالرغم من وجود اختلاف كبير حول تحديد ماهية الهوية وأبعادها الفكرية والثقافية والسياسية، والواقع أنه يمكن استعمال المفهوم على أنه شعار سياسي ذو بعد استراتيجي لهذا الطرف السياسي أو ذاك، أو أن يصاغ على وفق الرؤيا الأيديولوجية لهذه الجهة أو تلك، ويشير باحث آخر إلى دور الهوية في توحيد المجتمع وتحديد من ينتسبون إليه وتمييزهم عن سواهم.³

¹ برهان غليون، اغتيال العقل (محنة الثقافة العربية)، ط 1، بيروت: المركز العربي الثقافي، 2004، ص 32.

² صمويل هيننتغتون، من نحن؟: المناظرة الكبرى حول أمريكا، تر: احمد مختار الجمال، ط 1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009، ص 25.

³ باقر محمد جاسم، مرجع سبق ذكره، ص 05.

ويقول (برهان غليون) بأن الهوية ليس لها قيمة في ذاتها أو فيما تخلفه من شعور بالخصوصية، وإنما تتبع قيمتها من الإطار الذي تخلقه من الفرص الحقيقية للتقدم وتوسيع هامش المبادرة التاريخية للشعوب والجماعات التي تنطوي تحت شعارها.¹

ويقول (أدونيس العكرة)، في أهمية ودور الهوية أنه "لا يستطيع الإنسان في فرادته المباشرة، في شخصيته الذاتية، أن يشعر بأنه فرد بالمعنى التام، إلا متى عانى تجربة كونه جزءاً من وحدة كلية أكبر منه وأعلى من حيث الرتبة وأسمى قيمة ومقاساً، إنما عملية مشاركة يشعر بها الإنسان إنه إنسان بين البشر، أنه ذاته، هذه الوحدة الكلية الشاملة التي ينضوي تحتها الإنسان كجزء مكون ويمثلها بكليتها هي الهوية وحسب رأي (أدونيس عكرة) فإن الهوية بحد ذاتها تشكل دافعاً رئيساً يدعو إلى النضال بعنف من أجل تحقيقها، كما يدعو إلى الدفاع عنها والمحافظة عليها بعنف، ولأن الهوية هي انتماء، وقد يتمظهر هذا الانتماء ويتعين بوطن أو بدين أو بطبقة أو بقومية أو بعقيدة، فإن من شأنها أن توفر للإنسان الاجتماعي مناخاً عقلياً يجد فيه معنى لأفعاله وتصرفاته ومصنوعاته وأفكاره، وهذا يعني أنه من طبيعة هذه المسألة أن تكون مصدراً للقيم العقلانية والأخلاقية والسياسية، ويشكل الوجود السياسي أحد المكونات الأساسية للهوية، إن هدف الهوية الرئيس هو في أن تتعين بكيان سياسي معين، ومن الناحية الأخلاقية، تشكل الهوية مصدراً معيارياً لتصرفات الجماعة التي تنتمي إليها ولمبادئها الأخلاقية،² هكذا تؤدي الهوية دوراً ملحوظاً في الحياة السياسية لأنها تقضي بترسيخ التماسك والاستمرارية والاستقرار بين المواطنين، "فإن يكون المرء مواطناً فرنسياً على سبيل المثال، يدل على فكرة التشابه الأساسي مع سواه من

¹ برهان غليون، حوارات من عصر الحرب الأهلية، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995، ص 312.

² ادونيس عكرة، البحث عن الهوية والعنف، (ندوة الهوية: الهوية هل هي نقلة؟)، مجلة الفكر العربي المعاصر (ملف الهوية)، ص 91.

الفرنسيين وعلى الرغم من التباين في الطبقة والوضع والتعليم وما إلى ذلك،¹ ويبرني (صموئيل هنتنغتون) أفكاره حول (صدام الحضارات) على أسس الهوية الثقافية ويقول "إن الطرح الرئيس لهذا الكتاب (صدام الحضارات) هو أن الثقافة أو الهوية الثقافية، والتي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية، هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، ويضيف إلى ذلك أنه في العالم الجديد الهوية الثقافية هي العامل الرئيس الذي يشكل تقاربات الدولة وعداءاتها، ويصبح السؤال (من أنت؟) ذا أهمية كبيرة، كل دولة عليها أن تجد له إجابة، وتلك الإجابة هي هويتها الثقافية التي تحدد مكان الدولة في السياسة الدولية، وتحدد أصدقاءها وأعداءها.²

• دور الهوية :

حسب ما سبق فإن للهوية دوراً ووظيفة فعالة ومؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات، على كافة المستويات (الفردية، الجماعية)، وهي التي تعطي معنى للوجود والفعل والسلوك، وتحدد الخير والشر وفقاً لمعايير وقيم سائدة، وهي التي تحدد المصالح والمنافع وعكسها أيضاً، فالهوية مصدر ووعاء الشرعية لأي عمل يقوم به الإنسان، انطلاقاً من تعريفه لذاته الفردية أو الجماعية في سلوكه وتعامله مع الآخرين. ولكن بالقدر الذي تعتبر الهوية أساساً وقاعدة للتشابه والتماثل بين أفراد مجموعة بشرية، فإنها أيضاً تعتبر عامل التماثل والتمايز بين جماعات مختلفة، فإذا كانت الهوية قاعدة وأساساً للتعاون والانسجام بين أولئك الذين يتشابهون (أصحاب هوية واحدة)، فهي أيضاً عامل صراع ومنافسة بين الذين يختلفون ولا يتشابهون، ولكن تبقى نقطة جوهرية أخرى وهي أن أهمية

¹ غيه رميا، معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، تر: هيثم اللمع، ط1، بيروت: المركز العربي للترجمة، 1991، ص 408.

² صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، تر: مالك عبيدة ابو شهيو، ط1، القاهرة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1999، ص 76.

ودور ووظيفة الهوية منوط بالفاعل الذي يعتمدها في تعريفه لذاته وفي تعامله مع الآخرين، فإذا أنا أعطيت أهمية لهذه الهوية أو تلك فسيكون لها دور وتأثير على سلوكي وفي حياتي، لذلك نرى من يعتبر أن دور وأهمية الهوية وخاصة الهويات الثقافية، القومية، الإثنية، الدينية، يقتصر على المجتمعات تقليدية أو على حد قول (فرانسيس فوكوياما) مجتمعات داخل التاريخ أي تمييزاً لها عن العالم (ما بعد تاريخي)، وحسب رأيه، فإن الأفراد والجماعات في (عالم ما بعد تاريخي) وتحت تأثير العقلانية الاقتصادية تقلل من شأن العناصر التقليدية للسياسة بتوحيد الأسواق والإنتاج، وفي المقابل، سوف يواصل (العالم المنخرط في التاريخ) انقسامه بفعل صراعات قوية مختلفة دينية، قومية، وأيديولوجية، بحسب تقدم هذه البلدان المعنية التي سوف يتواصل فيها تطبيق القواعد القومية لسياسة القوة،¹ وجوهر القضية هو الصراع من أجل الاعتراف، وتتغير الوسيلة سواء اتخذت شكل التثبيت بهويات تغطي مصالح معينة أو اتخذت شكل الصراع على المصالح والمنافع الاقتصادية (المادية) بدون أية غطاء، إذا تكمن أهمية ودور الهوية في توظيفها أو عدم توظيفها في الصراع الإنساني من أجل الاعتراف والكرامة، وكما يقول (برهان غليون) فإن الهوية، أي التصور الذي يكونه شعب ما عن ذاته، لا قيمة لها إلا بقدر ما تساهم، من خلال القيم التي تركز عليها والعلاقات التي تشجع على بنائها والإحياءات التي تثيرها، في إعادة بناء الشخصية الفعلية المفككة أو المهددة وبالتالي ضمان تفتحها واستقرارها، وهو ما لا يمكن أن يتحقق من دون قيام هذا البناء على الأسس نفسها التي تساهم في إدماجه في الحركة التاريخية وتعظيم مشاركته في المغامرة التاريخية الحضارية البشرية، والهوية التي لا تقود إلى مثل هذا الرأي.

¹ فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تر: فؤاد شاهين وآخرون، ط1، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993، ص 258.

بل بالعكس، في النظام الديمقراطي يتاح للجميع التعبير عن الهوية، وبالتالي تتحول الهوية إلى هوية هي الأخرى ديمقراطية، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من الهوية الكلية، وشكلاً من الثراء الثقافي للمجتمع.

إن الهوية الديمقراطية لجماعة ما تعني: فصل الأيديولوجيات (دينية أو غير دينية) عن الدولة، وسيادة القانون، والتعددية السياسية، والتداول السلمي للسلطة، والمجتمع المدني، والمؤسسات النيابية، والحرية الفردية.¹

المطلب الثالث مستويات الهوية و علاقتها ببعض المفاهيم المشابهة لها .

أولاً: مستويات الهوية.

هناك عدة أنماط من تصنيفات للهوية، سواء تلك التي تقوم على أساس أنواعها أو على أساس مستوياتها، ولكننا في هذا المطلب نعتمد تصنيف الهويات إلى مستوياتها و سنتطرق لاحقاً إلى أنواعها.

يحدد (محمد عابد الجابري) ثلاثة مستويات للهوية الثقافية؛ فردية وجموعية ووطنية قومية، وتتحدد العلاقة بين هذه المستويات أساساً بنوع آخر الذي تواجهه، وهو يقول أن الهوية تتحرك في إطار ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد: الفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة،² كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزباً أو نقابة... الخ)، وهي عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، أي عبارة عن (أنا) لها (آخر) داخل الجماعة نفسها، أنا تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من (الأخر).

¹ صامويل هيننتغتون، مرجع سبق ذكره، ص 80.

² محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، ط3، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 298

الجماعة داخل الأمة، وهي كأفراد داخل الجماعة ولكل منها ما يميزها داخل الهوية العامة الكلية المشتركة، ولكل منها أنا خاصة بها و(آخر) من خلاله وعبره تتعرف على نفسها الأمة، وهو هوية جماعية ولكن أوسع من المستوى الثاني (الجماعة داخل الأمة)، إذ أنها أمة واحدة داخل الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تجريداً وأوسع نطاقاً وأكثر قابلية وتنوعاً واختلافاً

إذاً هناك ثلاثة مستويات للهوية الثقافية للإنسان، وهي الهوية الفردية الشخصية والهوية الجموعية (الجماعة المحلية) والهوية الوطنية أو القومية، والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين يتغير مدى كل منهما اتساعاً وضيقاً بحسب الظروف وأنواع الصراع والتضامن و اللاتضامن التي تحركها المصالح الفردية و الجموعية والوطنية القومية،¹ ويبدو أن (محمد عابد الجابري) ينسى أو يهمل مستويات أخرى للهوية الجماعية لأن الجماعات البشرية، ومهما تمايزت كشعوب أو قوميات عن بعضها البعض توجد فيها مستويات أخرى للهويات الجماعية قد تتجاوز الشعوب والقوميات لتشمل عدة شعوب وأمم، وقد تكون هناك هوية جماعية ولكن بين القوميات والأمم، كجماعات الدفاع عن حقوق الإنسان أو الدفاع عن البيئة مثلاً، أو جماعات فنية وثقافية أو اقتصادية متعددة الجنسيات ما بين الأمم والدول، وقد تكون هناك هوية جماعية ما فوق الأمم والقوميات أي عالمية إنسانية (أممية) كالهويات الدينية الهوية الإسلامية على سبيل المثال تجمع قوميات وأعراق وإثنيات وشعوب ودول مختلفة، ويكون الآخر في هذه الحالة الأديان والثقافات المسيحية أو البوذية أو الكونفوشيوسية، ونستطيع أن نحدد مستوى أوسع من الهوية الدينية وهو مستوى الهوية الإنسانية الكونية في مقابل الآخر غير الإنساني (الحيواني مثلاً)، وهذا المستوى قد يكون هو المستوى الأوسع للهوية الجماعية البشرية التي تشمل كل البشرية

¹ المرجع نفسه، ص 299.

مهما كان بينها من اختلافات وتمايزات بحكم الهويات الفردية أو الجماعية (محلية كانت أو قومية أو ثقافية ودينية) التي يجمعها كونها إنسانية وهذا المستوى هو المعتمد في المواثيق والمبادئ العالمية لحقوق الإنسانية و أساس فكرة المساواة بين البشر أو الأفكار والفلسفات والنزعات الإنسانية.

ويقدر تعلق الأمر بمفهوم الجماعة فهناك من يحددها بأنها وحدة جمعية حقيقية قابلة للملاحظة بشكل مباشر، وتقوم على أساس مواقف جمعية مستمرة ونشطة وتسعى إلى تحقيق هدف مشترك، وهي وحدة من المواقف والمهمات والسلوك، وإنها تشكل إطاراً اجتماعياً بنوياً يتجه نحو تحقيق تماسك نسبي لمظاهر الحياة الاجتماعية، وبهذا يمكننا أن نتحدث عن نظام ثقافي للجماعة وذهنية جماعية،¹ ويعرف (انتوني غدنز) (الجماعة الاجتماعية Social group) بأنها "مجموعات من الأفراد الذين يتفاعلون بأساليب منظمة بعضهم مع البعض، وقد تتفاوت الجماعات من حيث الحجم، فتتراوح بين روابط بالغة الصغر وتنظيمات كبيرة، ومهما كان حجمها،² فإن الملمح المحدد للجماعة هو وعي أعضائها بوجود هوية مشتركة بينهم ولكنه يعرف (المجتمع Society) بأنه "مجموعة من الناس يعيشون في حيز معين، ويخضعون لنظام معين واحد من السلطة السياسية،³ وهم على وعي بأن لهم هوية تميزهم عن الآخرين" وهذا التمييز بين الجماعة وبين المجتمع يقوم على وجود سلطة سياسية وإطار من النظام في المجتمع وانعدام وجودها في الجماعة. ويشير (شاكر مصطفى سليم) إلى أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الأشخاص تعيش وتعمل سوية لفترة من الزمن تكفي لخلق تنظيم خاص بها، ولأن تعتبر نفسها وحدة اجتماعية مميزة، والأسس التي يقوم عليها المجتمع هي: وجود مجموعة من الأفراد، وتعايشهم مع بعض في إقليم محدد كوحدة ذات

¹ اليكس ميكشلي، الهوية، تر: علي وطفة، ط1، دمشق: دار الرسم للخدمات الطباعة، 1993، ص 38.

² انطوني غيدنز، بيردسال، علم الاجتماع، ص 747.

³ المرجع نفسه، ص 761.

كيان ووجود ثقافة خاصة بهم واستمرارها زمنياً فترة طويلة كمجموعة، ووعيهم وإحساسهم بشعور جمعي وملكيتهم لروح الجماعة،¹ أما الجماعة المحلية أو الجماعة الاجتماعية (Community) (Social group)، فلا يوجد اتفاق بين علماء الانثروبولوجيا حول هذا المصطلح، ولكن التمييز بين الجماعة Community أو الجماعة الاجتماعية (Social group) وبين المجتمع Society، سيقوم على أن الجماعة أو الجماعات المحلية هي جزء من المجتمع، الذي يتكون عادة من عدد كبير من الجماعات.

وبتطبيق هذا التصنيف على مستويات الهوية، فستكون الهوية الجماعية (جماعة محلية أو غيرها مستوى متوسطاً بين الهوية الفردية والهوية المجتمعية (جماعية واسعة ويحدد أليكسي ثلاثة مستويات للهوية ولكن بصورة مختلفة عن (محمد عابد الجابري) وهي (الثقافية، الجماعية، الفردية) ومن ضمن الثقافة يمكن أيضاً أن نضيف الهوية الجماعية ما فوق القومية والوطنية وهناك من يصنف الهوية إلى ثلاثة مستويات أيضاً ولكن بأسلوب آخر الفردي، الجمعي، المؤسساتاتي.

المستوى الفردي: هو شعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة في إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وعملية التنشئة الاجتماعية، وبرز هذا المستوى بصورة أوضح مع بروز النزعة الفردانية.

المستوى الجمعي: وهو تمثل أو تجسد الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري هذا إلى جانب الهوية القومية التي تنصدر ككل هوية قومية من منابع كيان الإنسان من حيث هو فرد في جماعة يشاركها لغتها وتقاليدها وآمالها وآلامها، وهناك أيضاً الهوية الدينية والهوية الأممية في هذا المستوى

¹ شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا: انجليزي عربي، ط1، الكويت: جامعة الكويت، 1981، ص 898.

المستوى المؤسساتي والقانوني: أو ما يسمى (مأسسة الهوية)، أي خضوعها لمؤسسة، سواء كانت صغيرة أو متوسطة أو كبيرة، مثلاً (نادي رياضي، حزب سياسي أو دولة معينة، أو مؤسسات دولية متعددة الجنسيات

ويبدو أن المستوى الأول (الفردية) والمستوى الثاني (الجمعي) أو (الجماعي) أكثر قرباً للواقع، ولكن يجب أن لا ننسى أن المستوى الثاني الجمعي بذاته يمكن تصنيفه إلى مستويات مختلفة.¹ ومتعددة، وهي المستوى الجماعي الصغير الحجم أو الثانوي والمحلي، والجماعي المتوسط، والجماعي الواسع والكبير الحجم. وتكون أهم نقطة في تحديد أي مستوى من مستويات الهوية هو نوع آخر، لأن هذه المستويات تتواجد وتتزامن معاً لدى كل فرد (الإنسان) أو مجموعة بشرية ولكن ما يدعو إلى إبراز أي مستوى هو نوع الآخر وموقعه وتوقعاته وطموحاته، فإن كان هذا الآخر داخلياً في دائرة الجماعة، فإن الهوية الفردية هي التي تفرض نفسها ك(أنا)، وإن كان يقع في دائرة الأمة (أو الجماعة الواسعة) فإن الهوية الجموعية (الجماعية المحلية أو الثانوية) مثل (الحزبي، المناطقي، الطائفي أو القبلي والعشائري) هي التي تحل محل (الأنا) الفردي، أما¹ إن كان الآخر خارجياً، أي يقع خارج الأمة والدولة والوطن، فإن الهوية الوطنية أو القومية هي التي تملأ مجال الأنا وهكذا بالنسبة للمستويات الدينية أو الثقافية.²

¹ اليكس ميكشلي، الهوية، تر: علي وطفة، ط1، دمشق: دار الرسم للخدمات الطباعية، 1993، ص 38

² مفاهيم سياسية: تطور مفهوم الهوية: من الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية: على الموقع : <https://www.politics-dz.com/> تم الاطلاع عليه يوم : 25.07.2019، الساعة: 20:00.

ثانياً_عناصر الهوية

بناءً على التحديد السابق لمفهوم الهوية يمكن القول ان تحديد هوية جماعية أو فردية معينة يقتضي العودة إلى جملة من العناصر يحددها (اليكس ميكشيلي (ويصنفها ضمن المجموعات التالية:¹

1_ عناصر مادية وفيزيائية، تشتمل على:

الحيارات: الأمم، الآلات، الموضوعات، الأسواق، السكن، أو الممتلكات... الخ

القدرات: القوة الاقتصادية والمادية والعقلية المعرفية.

التنظيمات المادية: التنظيم الإقليمي، نظام السكن، نظام الاتصالات الإنسانية.

الانتماءات: الفيزيائية، الانتماء الاجتماعي، والتنوعات الاجتماعية والسمات المورفولوجية (الشكلية) المميزة.

2- عناصر تاريخية، وتتضمن

الأصول التاريخية: الأسلاف، الولادة، الأمم، الاتحاد والقرابة، الخرافات الخاصة بالتكوين، الأبطال الأوائل.

الأحداث التاريخية المهمة: المراحل المهمة في التطور، التحولات الأساسية، الآثار الفارقة

الآثار التاريخية: العقائد والتقاليد، القوانين والمعايير التي وجدت في المراحل الماضية ولها آثارها.

3_ عناصر ثقافية نفسية، وتشتمل على:

¹ اليكس ميكشيلي، مرجع سبق ذكره، ص، ص 18، 22.

النظام الثقافي: المنطلقات الثقافية، العقائد، الأديان والرموز الثقافية، الإيديولوجيات، ونظام القيم الثقافية، ثم أشكال التعبير المختلفة، فن وأدب بكل أنواعه.

العناصر العقلية: النظرة إلى العالم، نقاط التقاطع الثقافية، الاتجاهات المغلقة، المعايير الجمعية، العادات الاجتماعية.

النظام المعرفي: السمات النفسية الخاصة، اتجاهات نظام القيم.

4_ عناصر نفسية اجتماعية، وتتضمن:

الأسس الاجتماعية، المركز، العمر، الجنس، المهنة، السلطة، الواجبات والأدوار الاجتماعية، الانتماءات الاجتماعية.

القيم الاجتماعية، الكفاءة النوعية والتغيرات المختلفة.¹

القدرات الخاصة بالمستقبل، الإمكانية، الإستراتيجية، التكيف ونمط السلوك.²

ثالثاً: المفاهيم المشابهة لمفهوم الهوية:

1_ الإثنية: من الناحية اللغوية لفظ الإثنية: هو لفظ مشتق من كلمة ذات اصل يوناني وهي تشير إلى أصل الشعوب الذين لم يتبنوا النظام السياسي والاجتماعي لدولة المدينة والايثنيون عند اليونانيين القدامى هم أفراد مبعدون عن ثقافتهم لكنهم غير شموليين داخل دولة المدينة ونقصد كذلك بالإثنيين الأشخاص غير المنسجمين.

¹ اليكس ميكشلي، مرجع سبق ذكره، ص 39.

² اسماعيل نوري الربيعي، التاريخ والهوية: اشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، ط1، بيروت: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2002، ص 53.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد ظهر المصطلح متأخرا في المعجم العلمي عام 1896 عند: فاشي دولابوج مؤلف كتاب التصنيفات الاجتماعية ويعتبر: جورج منتوندن هو أول من استعمل مصطلح الإثنية ويعتبرها تجمعا طبيعيا يتضمن كل الخصائص الإنسانية، وميز بينها وبين القومية فيما بعد ليود على تكوير المصطلح ما بعد 1941.¹

2_العرقية Ithnicity: ان لفظ مستق من اللفظ اللاتيني إيثينوس والذي يقابل ناسيون ويلاحظ أن هناك اختلافات كبيرة حول مفهوم الجماعة العرقية فعلى سبيل المثال يعرفها موريس بأنها مجموعة محددة تختلف ثقافتها عن المجتمع الكبير الذي تعيش فيه ويعتقد أفرادها أو الآخرون أنهم يرتبطون بأوامر عرقية أو وطنية وثقافية مشتركة.

3_الطائفية:

لغة هي كلمة أصلها الطائفة جزء من الشيء وفي القرآن الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)النور: الآية 2 صدق الله العظيم.

اصطلاحا: هي نظام سياسي واجتماعي متخلف يرتكز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية، ويتشكل مع غيرها من الطوائف التوجه

¹ سمية بلعيد، النزاعات الإثنية في إفريقيا: جمهورية الكونغو نموذجا ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية 2009،2010 ص 15.

السياسي للدولة، أو الكيان السياسي وهو مكون من مجتمع تحكمه الانقسامات العمودية التي تشق وحدته وتماسكه.¹

4_المواطنة: يعتبر مفهوم المواطنة فكرة اجتماعية وسياسية وقانونية وسياسية ساهمت في تطور المجتمع الإنساني بشكل كبير بجانب الرقي بالدولة إلى المساواة والعدل عن طريق تعزيزها لدورها من الديمقراطية و الشفافية في بناء وتطور الدولة وذلك بإشراك المواطنين بالحكم ضمان حقوقهم وواجباتهم.

وكما تعرفها دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها: العلاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة، وتؤكد دائرة المعارف البريطانية مفهومها للمواطنة، بأن المواطنة على وجه العموم تصبغ على المواطن حقوقا سياسية مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة.²

المبحث الثاني: المداخل النظرية المفسرة للهوية وعلاقتها بنشأة الدولة.

وقد تم تناول هذا المبحث في ثلاث مطالب يركز المطلب الأول على المقاربة الواقعية الإثنية و المطلب الثاني يركز على المقاربة النظامية و المطلب الثالث يركز على علاقة الهوية ببناء الدولة .

¹ حيزية بركات مرجع سبق ذكره، ص12

² ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية ، العدد 1 المجلة 8 الكويت سنة 2009 .

المطلب الأول: المقاربة الإثنوواقعية.

هيمنت المدرسة الواقعية على نظريات العلاقات الدولية منذ فترة ما بين الحربين حيث تتميز بسهولة مفهوماتية تتماشى والأفكار الفلسفية التي تتواصل معه، هوبز Thomas Hobbs ثيوسيديس THUSIDIS.

وفقا للتقاليد فإن أفعال الدول متوقفة على الطبيعة البشرية الجغرافية بدلا من الأخلاق والمثاليات، هذا ما يراه آرون ومرغاننو وهوفمان، يتم تحديدهم ضمن هذا المنطلق فهم يعرفون النظام الدولي والعلاقات الدولية مثل غابة بداخلها فواعل أساسيون هم الدول والهدف الأساسي هو استمرارية البقاء¹ ويتكون المنظور الواقعي من أربعة اعتبارات هي:

- المصلحة الوطنية ومعرفتها في إطار القوة

- انفصال السياسة الداخلية على السياسة الخارجية.

-توظيف الأخلاق لأجل الأهداف السياسية.

- الدولة القومية هي وحدة التحليل الأساسية.

إن الميزة الفوضوية للعلاقات الدولية هي نتيجة طبيعية لسلوكات الدول فالفوضى معرفة على أنها: غياب سلطة عليا أو منظم اسمي يحفز على علاقات ما بين الدول، تقاس على أساس القدرة والمكاسب والأمن، وقد أصبحت الواقعية أكثر من مجرد نظرية بسيطة، بل حققت حالة بلوغ المنظور كما يتضح ذلك من تأكيد انتشارها الكبير، إذا تعتبر الواقعية الدول هي الفاعل الرئيسي والموحد، وهي وحدة التحليل لديها، فادى ذلك إلى دعوة العديد من

¹ سمية بلعيد، مرجع سبق ذكره، ص 33.

منظري الواقعية إلى التكيف مع المعايير الجديدة للظاهرة منذ نهاية الحرب الباردة، أين تضاعفت العوامل وتغيرت طبيعة التهديدات فكل هذا يحتاج إلى تعديل نظري¹.

ولأن جماعات الأقلية تعيش وسط بيئة سياسية في العديد من الدول في العالم، وفي ظل عجز بعض الدول عن القيام بوظيفة التوزيع العادل للموارد بين تلك الجماعات وعدم قدرتها على تحقيق الأمن لها، بالإضافة إلى عنصر التنافس القائم أساسا بين هذه الجماعات، كل ذلك يؤدي إلى حصول إرادة لديها في تكريس هويتها التي تميزها، والعمل على الحفاظ على وجودها بين الجماعات الأخرى في الدولة².

ويرى مؤيدو هذه المقاربة انه هناك عاملين أساسيين ساهم في بروز الجماعات الأقلية كفاعل مستقل في العلاقات الدولية، وهما:

1- **الخوف** من التجانس والخوف على الحياة والبقاء، فالأول يعني الخوف من هيمنة ثقافة الأغلبية مما ينتج تآكل واندثار ثقافة الجماعة، والثاني قائمة أساسا على التمييز وهضم الحقوق.

2- **اللامن:** يرى مفكرو هذه المقاربة أن المجموعات الأقلية (أثنية، قومية، دينية)، هي التي لا بد أن تكون محل عناية واهتمام من قبل المهتمين بتحليل مفهوم الأمن حيث يعرفه باري بوزان "لا يمكن للأفراد والمجموعات تحقيق الأمن المستقر إلا إذا امتنعوا عن حرمان الآخرين منه، ويتحقق ذلك إذا نظر إلى الأمن على انه عملية تحرر"³.

¹ حسان بن نوي، تأثير الأقليات على الاستقرار والنظم السياسية في الشرق الأوسط، ط 1، مكتبة الوفاء القانونية، 2015، الجزائر، ص 54-80.

² سمية بلعيد، مرجع سبق ذكره، ص 80.

³ حسان بن النوي، مرجع سبق ذكره، ص 80.

وحسب لآك دائماً ليست فقط الفوضى ناجمة عن غياب الوسائل وانهيار البنى، بل من الممكن أن تكون بسبب غياب إرادة الدولة في فرض احترام النظام فالتوترات الإثنية تولد قلقاً يتفاقم بحالة الفوضى وهنا نكون أمام مفهوم المأزق الأمني.

حسب الواقعيين، النظام الدولي فوضوي لأنه لا يوجد به سلطة عليا تنظم سلوك الفواعل الموجودين، فالفوضى في الواقع الإثني ليست بسبب غياب سلطة رسمية وحسب و إنما لغياب سلطة شرعية فوجود توتر بين الجماعات الإثنية يؤدي إلى خلق جو من القلق والخوف، هذا الخوف الذي يعزز ويغذي الفوضى السائدة داخل الدولة، نتيجة لانعدام التنظيم وغياب سلطة الدولة، عند ذلك ينشأ المأزق الأمني.

ويطلق باري بوزان، وصف المعضلة الأمنية على النزاعات الإثنية، على افتراض أن منطق انهيار الدولة أو إعادة الهيكلة غالباً ما يكون نتيجة عمل هذه الجماعات على ضمان بقائها بوسائلها الخاصة، وعند وصولها لتحقيق هدفها الأمني تسعى الجماعات الإثنية الأخرى إلى تطوير إمكانياتها العسكرية قصد تقليص قدرات الآخرين، ويعود ذلك حسب بوزان إلى أربعة أسباب رئيسية:

- صعوبة التمييز بين القدرات الهجومية والدفاعية للجماعات
- ميزة أو قاعدة الهجوم من الدفاع.
- صعوبة القيام بالتفريق بين أركان الدولة باستعمال الهوية الإثنية مع إنشاء قوة عسكرية أكثر فعالية.

- عند انهيار الدولة متعددة الاثنيات، إدراك الآخر هو في كثير من الأحيان أكثر حساسية¹.

• المطلب الثاني: المقاربة النظامية.

إن نظرية النظم التي تطورت في الخمسينات من القرن الماضي والتي نالت الاهتمام الكبير كمنهج معاصر اعتمدت على مصطلح أصبح الأكثر استخداما في دراسة العلاقات الدولية ويرى دورتي باستغراف أن هذا المصطلح يتضمن:

1- إطار نظري لتدويل المعلومات المتعلقة بالظاهرة السياسية

2- نسق متكامل من العلاقات المستندة إلى مجموعة فرضية من المتغيرات السياسية، فمثلا النظام الدولي يتضمن الحكومة العالمية (متغير سياسي مفترض).

3- نسق من العلاقات بين المتغيرات في نظام دولي، مثلا نظام القطبية الثنائية في الخمسينات من القرن الماضي.

ويعرفها هولستي بأنه مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة سواءا كانت قبائل أو دول، مدن أو امبراطوريات، تتفاعل فيما بينها بانتظام وفق المسالك المرتبة بينما يعرفها ليرج والسيد "نمط ذو خصوصية من النظام الاجتماعي وهو ترتيب يوجد عندما تقوم وحدات فاعلة أو أفراد أو جماعات لتبرير وتحديد العلاقات فيما بينها بشكل يمكننا من تحديد سلوك محدد للنظام، أما النظام الفرعي فهو جزء من النظام الكلي، وقد وضع برايار بعد دراسة مستفيضة لمجمل المقاربات حول نظرية النظم تعريفا يقول "النظام هو مجموعة عناصر متفاعلة يؤلف كل واحد ويظهر تنظيما معينا ويعتمد هذا التعريف عند برايار على أربعة عناصر أساسية:

¹ حيزية بركات، أزمة الهوية الطائفية في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، مذكرة ماستر علوم سياسية وعلاقات دولية، جامعة المسيلة، 2015، ص ص 35-36.

التفاعل، الكلية، التنظيم، حيث أن كل نظام من عناصر قد تكون وحدات، هويات وفق النظام الذي نحن يصده.

أما التفاعل فهو نتيجة للعلاقات القائمة بين العناصر إذ انه لا يمكن الحديث عن نظام بدون علاقات تفاعلية.

أن مجموع الأشخاص والعلاقات القائمة بينهم تشكل كل متكامل، وان كل معين يمتلك خصائص لا يمتلكها أجزاءها إذا كانت منفصلة عن الوحدة الأخرى.

ويظهر كل ذلك من خلال تنظيم معين يتحدد وفق العلاقات القائمة بين العناصر والالتزامات التي يتم التعبير عنها، ويتأثر هذا النظام بمحيطه من خلال المؤثرات الداخلية أو المدخلات والنواتج أو المخرجات، وبما أن النواتج تتأثر بالمحيط الذي يمكن اعتباره نظاما اشمل أو نظام آخر مختلف، فإن هناك عملية التفاعل تؤدي إلى مدخلات جديدة¹.

لقد قدمت نظريات النظم مجموعة كبيرة من المفاهيم المعاصرة إلى درجة أنه أصبح يتم استعمال النظرية بدون معرفة كافية لمعناها، أن مفاهيم الاندماج والتأقلم والتدفقات والتشابك والتأزر أصبحت تستعمل في مجالات مختلفة في إطار دراسات العلاقات الدولية، ورغم انه بروز لأول وهلة من طرف علماء الاجتماع مثل بارسونز، هوفانز ... إلا أن علماء السياسة أمثال دافيد ايستون، غابريال الموند، استطاعوا تطوير واستخدام اقتراب النظم في التحليل السياسي، لكن مفهوم تحليل النظم في العلوم السياسية كثير ما استخدم ليدل على مفهوم نظرية النظم كإطار نظري وليحدد مناهج البحث الخاصة لفهم عمل النظم السياسية وهي تساعد على تحليل النظم وعلى تقرير مدى كفاءة النظام السياسي في تحقيق التوازن في مواجهة الضغوط وعلى التكيف أمام التغيرات التي تفرض على النظام من الداخل

¹ عياد محمد سمير، مستقبل النظام الإقليمي العرب يبعد الاحتلال العراقي، رسالة ماجستير، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2004، ص ص 14-15.

أو الخارج ويرجع الفضل الأول لتطوير وإدخال اقتراب تحليل النظم إلى حقل العلوم السياسية إلى عالم السياسة الأمريكي دافيد ايستون، لذا هناك من يطلق على هذا الاقتراب اقتراب ايستون وذلك من خلال أعماله system of political life ثم system the politic¹.

يعرف دافيد ايستون، النظام السياسي بأنه مجموعة من الظواهر التي تكون نظام فرعي من النظام الاجتماعي والنظام الرئيسي، لكن هذه الظاهرة تتعلق بالنشاط السياسي في الجماعة باعتباره جزءا من حياة هذه الجماعة (النظام السياسي)، وهي تلك الظواهر الخاصة بالحكم وتنظيمه والجماعة السياسية والسلوك السياسي.

ويرى ايستون أن حدود النظام السياسي يمكن التعرف عليها من خلال مجموعة من التصرفات التي تتصل بالشكل المباشر أو الغير مباشر بصنع القرارات الإلزامية للمجتمع، ومن ثم فإن كل عمل اجتماعي تتوفر فيه هذه الخاصية لا يعتبر داخلا في مكونات النظام السياسي.

فرغم أن نظرية النظم ساهم في بلورتها العديد من العلماء والمنظرين إلا أننا سنركز على إسهامات دافيد ايستون وكذا غابريال الموند لأنها تخدم هدف الدراسة.

يؤكد ايستون أن فكرة النظام كإطار تحليلي بما تتضمنه من علاقات ومفاهيم، نظرية تتخللها دلالات تطبيقية تمثل نقطة بداية حقيقية لتطوير الدراسات السياسية، هذا الإطار التحليلي للنظام السياسي ابسط صورته كما يراه ايستون لا يعدو أن يكون دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات السياسية الموجهة بصفة أساسية إلى التوزيع السلطوي للقيم

¹ حسان بن النوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 83-84.

في المجتمع، تبدأ هذه الظاهرة بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات وتقوم عملية التغذية الاسترجاعية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية أي بين المدخلات والمخرجات¹.

تكمن أهمية المدخلات في معرفة تأثير الأحداث والظروف المتواجدة في البيئة المحيطة بالنظام السياسي ومنها المطالب المختلفة للأقليات، هذه المدخلات ستكون بمثابة كلما يحدث في البيئة وما ينتج عنها.

ويقسم ايستون المدخلات إلى مطال وتأييد، وقد أضاف وليام هيتشل عام 1960 عنصر ثالثاً، سماه المورد، وذلك في إطار تطويره لنموذج ايستون.

أما المخرجات فقد عرفها ايستون بأنها مجموعة القرارات والأفعال والتصرفات التي يقوم بها النظام السياسي، وتكون لها صفة الإلزامية، ويتم بمقتضاها التوزيع السلطوي للقيم في المجتمع، وهي :

- وظيفة صنع القواعد بما يعنيه ذلك من وضع للسياسات واتخاذ القرارات ويتم ذلك من خلال السلطة التشريعية بالأساس.

- وظيفة تنفيذ القواعد بما يعنيه ذلك من تطبيق القواعد والقرارات ويتم ذلك بواسطة السلطة التنفيذية والجهاز الإداري.

- وظيفة التقاضي حول القواعد: لما يتطلبه ذلك من إصدار الأحكام القضائية الملزمة في حالة التنازع على قواعد التغذية الاسترجاعية، ويقصد بها كافة عملية التأثير الاسترجاعي للمخرجات على المدخلات، ويتم ذلك من خلال ما تحدثه المخرجات على البيئة من آثار سلبية وإيجابية ويكون لها تأثير في ذات الوقت على المدخلات وبعبارة أخرى التغذية الاسترجاعية هي عملية يتم بمقتضاها تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام السياسي من

¹ حسان بن النوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 84-85.

جديد في شكل مدخلات هي من نتائج قراراته و أفعاله، التغذية الاسترجاعية بهذا المعنى تربط مدخلات النظام السياسي بمخرجاته، ومخرجاته بمدخلاته، وتعطي في ذات الوقت الطابع الديناميكي المستمر للنظام، فاستجابة النظام السياسي لبعض مطالب حركات الهوية و الأقلية يزيد من إصرار هذه الأخيرة على رفع سقف المطالب مرة أخرى نتيجة شعورها بالثقة وإيمانها بصدق مطالبها، وفي حين يركز ايستون في تحليله للنظم السياسية على الجانب الهيكلية يركز غابريال الموند على التحليل الوظيفي للنظم السياسية.¹

يتميز الموند بين نوعين من الوظائف، أولها وظائف المدخلات ويحددها بأربعة وظائف هي (التنشئة والتطوير الاجتماعي، تحديد المصالح، الاتصال السياسي)، أما وظائف المخرجات يحددها بوضع القاعدة القانونية، تطبيق القاعدة القانونية للفصل في المنازعات، بعبارة أخرى ميز الموند بين الوظائف لبعض الأهداف السابقة والمسطرة على وجود الدولة (النظام)، والأدوات التي تسمح له بتحقيق تلك الأهداف والملاحظ أن الموند يعود مرة أخرى إلى أفكار مونتيسكيو حول فصل السلطات تحت تسميات جديدة، فوضع القاعدة القانونية يصبح مرادفا لكلمة التشريع، وتطبيق القاعدة القانونية يصبح بديلا عن السلطة التنفيذية، لكل المفاهيم مدلول واحد وإذ انتقلنا إلى الطائفة الأخرى التي يسميها بوظائف المدخلات، وهي التي تمثل كلمة الوظيفة في معناها الحقيقي فهو يميز بين أربعة وظائف تتمحور جميعها حول حركية النظام السياسي وما يتفاعل معه، إذا هو يتساءل كيف تتطور المطالب السياسية؟ وكيف تتعاقب المصالح؟ وكيف يتم الاتصال بين مختلف أجزاء القوى السياسية؟ وكيف يستوعب النظام السياسي القوى الاجتماعية التي تقوم بدورها

¹ حيزية بركات، مرجع سبق ذكره، ص 40 .

السياسي؟ وكلها أسئلة ضرورية إلا أنها لم تعد إلى مستوى وضع التجريد الذي يرتبط بالأهداف العامة التي تفسر وتبرر وجود نظام الدولة.¹

المطلب الثالث: علاقة الهوية بنشأة الدولة.

الدولة الحديثة، بوصفها ظاهرة اجتماعية سياسية قانونية، هي التجسيد القانوني والسياسي والثقافي لمجموعة بشرية ذات علاقة وثيقة بالهوية الجماعية لهذه المجموعة البشرية التي تجسدها و قد أثرت الدولة الحديثة لكونها نتاج ومنتج الحداثة و العصرية، أثرت كثيراً في المجتمعات التقليدية وغيرت من تركيباتها وتكوينها وشكلها، من هنا فالهوية جوهر التفاعلات التي ينتجها كما هي مكونات الدولة في بوتقة مدنية كلية صاهرة لكافة مكوناتها الداخلية. إن الدولة إطار كلي، ينتج عن تمازج مجموعة من العناصر، الأمة المكونة للجماعة السياسية، والقيم والقوانين المكونة للنظام، والإقليم المكون للوطن، والمؤسسات الإدارية (المدنية والعسكرية) المكونة للسلطة، وروح وجوهر هذا الرابط والنظام الكلي المسمى بالدولة هي الهوية التي تمثل التمازج والتناغم والاتحاد بين عناصر الدولة، وكلما تمازجت وتناغمت واتحدت هذه العناصر ببعضها البعض في الوعي والثقافة والتشريع والتطبيق، وكلما تكاملت و نظمت و ترسخت أسسها؛ كلما قويت الدولة وتجدرت، ومن هنا فبقاء الدولة مرتبط بفاعلية الهوية وقدرتها على البقاء والتجديد والتطور.²

و يوضح لنا (صاموئيل هنتنغتون) في تفسيره وتحليله لطبيعة الدولة الحديثة أسباب نشوء إشكالية الهوية فيها إلى مميزات الدولة الحديثة وأبرزها، إن الدولة الحديثة تتميز بمدى واسع لمشاركة الناس في السياسة، وتأثرهم بها عبر وحدات سياسية واسعة النطاق، و كانت هذه

¹ محمد نصر مهنا، الاتجاهات المعاصرة في تطور السياسة، دار الوفاء، لنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007، ص 106-107.

² حسين درويش العدلي، بناء الدولة (إعادة الإنتاج وإعادة التماهي)، مجلة الوطن والمواطنة والتعايش، مركز الوطن للدراسات، السنة الأولى، العدد 1، أوت 2007، ص 69.

أهم أوجه العصرية السياسية أي مشاركة فئات اجتماعية واسعة في السياسة فوق مستوى القرية والمدينة في نطاق المجتمع كله وما ترتب عليها من تطوير للمؤسسات السياسية واستحداث الجديد منها، كالأحزاب السياسية، لتنظيم هذه المشاركة السياسية، ولعملية العصرية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية آثار كبيرة في طبيعة وتكوين المجتمعات التقليدية، وتتخذ هذه التأثيرات أشكالاً مختلفة من الهوية الجماعية للمجتمعات، لأنه و حسب رأي (هنتغتون) فإن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية تمزق بالضرورة التكتلات الاجتماعية والسياسية التقليدية، وتقوض أسس الولاء للسلطات التقليدية، حيث كانت الوحدة والتلاحم الاجتماعي كان بارزة وواضحة في العديد من المجتمعات التقليدية، وتتحول العائلة الموسعة نتيجة التغييرات الاقتصادية والاجتماعية و العصرية وتأخذ بالتفكك ويتم استبدالها بالعائلة النواة التي هي في غاية الضعف والانزلال والصغر، وقد يؤدي تحطيم المؤسسات التقليدية للمجتمع.¹

إن علاقة الدولة الحديثة بالهوية تتجلى من خلال إشكالية الهوية الوطنية والهوية القومية كأنماط وأشكال حديثة للهوية الجماعية في المجتمعات الحديثة، ومررت هذه العلاقة الإشكالية بصعوبات كثيرة ومختلفة، في مرحلتين رئيسيتين، وهما مرحلة نشأة الدولة الحديثة وبلورة هويتها الوطنية وكل ما صاحبها من صعوبات وتحديات، والمرحلة المعاصرة وما يواجهها من تحديات تهدد هويتها الوطنية وصراعها من أجل البقاء بتشكيلتها السابقة، وبالرغم من أن الكثير من دول العالم لم تستطع أساساً تجاوز تحدياته القديمة التي تعود إلى مرحلة النشأة، فقط أضاف إليها الظروف الدولية والعالمية المعاصرة الراهنة تحديات جديدة أثقلت كاهلها أكثر، وهددت وجودها كدولة. إن الدولة الحديثة هي (دولة-أمة) أو دولة قومية، بالإضافة إلى الخصائص التي أوضحناها سابقاً حول الدولة الحديثة ، فمن الضروري البحث في

¹ صامويل هينتيغتون، مجتمعات متغيرة، ترجمة : سمسة خلف عبود ، ط 1 ، دار الساقى بيروت ، لبنان 1993 ، ص51.

مسألة الدولة القومية، وما يرتبط بها في علاقة الدولة الحديثة والهوية الجماعية. ويعرف (أنتوني غدنز)، الدولة القومية بأنها "نمط خاص من الدولة يتميز به العالم الحديث، تمتلك فيه الحكومة قوة سيادية على مساحة محدودة من الأرض، وتشكل جمهرة من السكان يعتبرون أنفسهم أمة واحدة"¹.

إذا كانت مسألة الدولة في شكلها وأبعادها المتعددة تعد مسألة فكرية وسياسية هامة، فإنها تعد مسألة مضاعفة الأهمية والتعقيد فيما يخص الدولة العراقية الحديثة، ويعود ذلك لعوامل تتعلق بسياقات تشكيلها ومجموع التحديات التي تواجهها، الخارجية منها متمثلة بالقوى الكولونالية القديمة والجديدة، والداخلية التي تتصل بالبنيات المجتمعية والسياسية المؤثرة في صياغة شكلها وشكل السلطة ومن ثم العلاقة بينهما وبين الفرد المواطن. سناقش في هذا البحث أبرز التحديات البنيوية التي واجهت قيام الدولة/ الأمة في العراق وأدت إلى فشلها وانهارها والمحاولات الفاشلة لإعادة بناءها، وبالتحديد التحديات المتمثلة في النزاع الطائفي- السياسي ودور أحزاب الهوية في تشكيل دولة الطوائف، والتعددية المجتمعية وأثرها في التعددية السياسية، والإخفاق الذي لازم الأطر الاجتماعية في إنتاج ثقافة سياسية حديثة ومجتمع سياسي فعال مما أدى إلى استعصاء الحل الديمقراطي.

- يتناول هذا الفصل دراسة حالة الانقسام الهوياتي والطائفي في العراق ولبنان من خلال تقسيمات الهوية الدينية والطائفية التي تتخلل وتقسّم المجتمعين

¹ أنتوني غدنز كارين بيردسال، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، 2005، المنظمة العربية للترجمة، عمان، ص 750.

خلاصة الفصل:

لم تعد الحاجة إلى الهوية محلية، فقد أصبحت شغلا شاغلا للعديد من دول العالم وسياسيها، ونحن كجزء من هذا العالم وجدنا أنفسنا في أمس الحاجة إلى تجاوز كل الهويات الفرعية والعرقية لبناء هوية وطنية جامعة تتأسس عليها وحدة الدولة وتستند إلى مكونات المجتمع في إطار منظومة متكاملة من المبادئ والمرتكزات، فمتى نصل إلى إطار هوياتي يتجاوز كل التداخيات العرقية و الدينية إلى تجسيد واقعي لهوية جامعة تتأسس على وتهدف إلى المصلحة العليا للوطن.

الفصل الثاني:

أزمة الهوية وعلاقتها ببناء الدولة

العراقية واللبنانية

تمهيد

يعتبر مشكل الهوية أحد أهم المعضلات التي تعاني منها دول الشرق الأوسط خاصة دولتي العراق و لبنان إذ يتجسد ذلك من خلال تشعب العرقيات والإثنيات والطوائف الدينية و هذا ما كان له عظيم الأثر في واقع هاتين الدولتين سياسيا ووحديا .

و قد تناولنا في هذا الفصل مبحثين يركز الأول على تأسيس الدولة العراقية الحديثة و أهم الآثار التي خلفها الصراع الهوياتي و المبحث الثاني يركز على تأسيس الدولة اللبنانية و أهم تقسيماتها الهوياتية و أثرها على بناء الدولة.

المبحث الأول: الانقسام الهوياتي والطائفي للدولة العراقية.

يتناول هذا المبحث التعريف بنشأة الدولة العراقية الحديثة كمطلب أول وأهم انقساماته الطائفية كمطلب ثاني و أثر الصراع الهوياتي على بناء الدولة كمطلب ثالث .

المطلب الأول: نشأة الدولة العراقية الحديثة.

وقد تناول هذا المطلب كرونولوجيا نشأة الدولة العراقية الحديثة و استقلالها عن الاحتلال البريطاني.

أولاً: تأسيس الدولة العراقية الحديثة.

تأسست الدولة العراقية الحديثة عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى واتفاقية ساكس بيكو عام 1916م، وقد نشأ عن ذلك توحيد ثلاث مناطق عثمانية معاً، وهي البصرة، والموصل، وبغداد تحت مسمى دولة العراق، والتي كان من المفترض لها أن تخضع للانتداب البريطاني وفق ما جاء في مؤتمر سان ريمو 1920م، حيث ثار الشعب العراقي رافضاً القرار الذي طُبّق بالقوة، ففي عام 1921م قامت بريطانيا بتطبيق نظام الملك في العراق، وتنصيب الملك فيصل بن الحسين ملكاً عليها، وقد أُطلق عليها اسم المملكة العراقية الهاشمية¹.

ثانياً: تأسيس الجمهورية العراقية

تعرضت المملكة العراقية الهاشمية عام 1958م، لحادثة انقلاب العميد عبد الكريم قاسم ورجاله على الحكم الملكي، وقد اغتيل وقتها الملك فيصل الثاني لينتهي بذلك النظام

¹ رندا مصطفى، "تاريخ العراق الحديث والمعاصر"، 02.10.2018، على الموقع: <http://mawdoo3.com/>، اطلع عليه يوم: 03.06.2019، على الساعة: 21:30.

الملكي في العراق، وتتأسس الجمهوريّة لمحات من تاريخ العراق الحديث العراقيّة على يد قاسم الذي ظلّ حاكماً لخمس سنوات، ثم انقلب عليه العقيد عبد السلام عارف الذي نقل حكم البلاد لأخيه بعد وفاته بثلاث سنوات من تولّيه للحكم، وفي عام 1968م تعرّضت الجمهوريّة لإنقلاب آخر على يد حزب البعث الذي كان بقيادة أحمد البكر، وقد شغل صدام حسين في الوقت الذي استلم فيه أحمد البكر رئاسة البلاد شكلياً منصب النائب الذي يتولّى إدارة الأمور الفعلية في الدولة، فقام بتأميم المصالح.

المطلب الثاني: أهم الهويات الطائفية في العراق.

يضم العراق العديد من الطوائف (المسلمون، المسيحيون) فأغلبية العراقيين شيعة مسلمون على مذهب الأمامي، والسنة على المذهبين الحنفي والشافعي وقلة من الحنابلة، أما الطائفة المسيحية مكونة من الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت، مع قلة من الأقباط والسريان والأرمن واليهود، والبهائيون، وقد قدر تعداد الشعب العراقي بحوالي 23 مليون نسمة.¹

ليتكفل أكراد العراق ب (20%) من إجمالي السكان، وهم جماعة قومية وحدتها عوامل الجغرافية والعرق والدين واللغة ومزقتها التاريخ والمصالح الدولية، لتتوزع على خمس دول وهي: (تركيا، العراق، سوريا، أرمينيا، إيران)، فيما عدا أرمينيا التي يعد فيها الوجود الكردي مستقلاً بدرجة التي لا تجعله يشكل مشكلة، فإن هذا الوجود يعد مشكلة كبرى في كل من تركيا والعراق وإيران، وإلى حد ما سوريا، نتيجة عجز هذه الدول عن إيجاد آلية سياسية لاستيعاب الأكراد فتحوّلت هذه المشكلة إلى صراع مسلح أخذت تعانيه هذه الدول وتناولت أساليب التعامل مع الأكراد من أفكار للتمايز كما هو الحال في تركيا و إيران وإلى اعتراف

¹ حسان بن نوي، تأثير الاقليات على الاستقرار والنظم السياسية في الشرق الاوسط، ط1، الجزائر: مكتبة الوفاء القانونية، 2015، ص 92.

ونوع من الحكم الذاتي كما هو حاصل في العراق، أما الشيعة العراقيون فيمثلون (55%) من إجمالي الشعب العراقي ومعظمهم من العرب، حيث يطلق وصف "الشيوعي" على كل من ينتمي إلى المذهب الجعفري، ولادة واختياراً، فالشيعة ليسوا عراقاً ولا قومية بل يمثلون مجموعة من الشرائح الاجتماعية التي تتبنى رؤية دينية وفكرية محددة.¹

وينحدر اغلب شيعة العراق من اصول عرقية متعددة مع انهم يمثلون اكثر من نصف سكان العراق، إلا أنهم أثناء حكم حزب البعث كانوا لا يحوزون تمثيل واسع على مستوى مراكز السلطة ومستبعدين بشكل تام على المناصب العليا، والشيعة اقل تمرداً على الحكومة المركزية لاشتراكهم في عامل العروبة الذي يدمجهم مع باقي النسيج الاجتماعي في العراق (عكس الأكراد)، بالإضافة إلى ان موقعهم الديموغرافي في منطقة الاحواز لا يشجعهم على الانفصال، لذلك فأى تشجيع إيراني للشيعة على الانفصال يبقى مجرد وهم، والجدير بالذكر انه عندما لاحظ الرئيس السابق صدام حسين ان السنة المهاجرين و الإيرانيين داخل المجتمع العراقي أصبحت تهدد الميزان الديموغرافي لصالح هذه الطائفة المدعومة من دول الجوار إيران بالذات، اتخذ إجراءات من شأنها ان تحد من ميل هذا الميزان الطائفي وهذا بمنع إعطاء الجنسية العراقية للإيرانيين الشيعة، كما قام بطرد بعضهم إلى إيران وعمل على تقطين العديد من المهاجرين من الدول العربية خاصة من (مصر، السودان، المغرب) ومنحهم الجنسية العراقية.² الأرمن كلهم مسيحيون، فهم أقلية ضئيلة، ثم اليهود وهم اقدم الجاليات وقد هاجروا تقريبا كلهم.³

¹ هاجر ختال، تدخل الامم المتحدة لوقف انتهاكات حقوق الانسان في كردستان العراق عام 1991، رسالة ماجستير قانون دولي، كلية الحقوق، جامعة عنابة- الجزائر، ص 34.

² حسان بن نوي، مرجع سبق ذكره، ص 96.

³ حيزية بركات، أزمة الهوية الطائفية في العراق بعد الاحتلال الامريكي، مذكرة ماستر، علوم سياسية وعلاقات دولية، كلية الحقوق، جامعة المسيلة_ الجزائر، 2015_2016، ص 46.

ان وجود هذا التوزيع المتنوع عرقيا ودينيا ولغويا، قد أثرى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العديد من دول الشرق الأوسط مثل (العراق، لبنان)، فهو من جهة اخرى لم يكن على هذا القدر من السلاسة السياسية، فالتطورات المحلية الإقليمية، ادت الى جعل هذا التوزيع المتنوع مصدرا للتطورات السياسية ولحد ما اخذ شكل النزاعات المسلحة غير ان هذا التوزيع الجغرافي لهذه الجماعات والتدخل الأجنبي والأوضاع الاقتصادية قد لعبت دورها في جعل هذه المنطقة اقل اندماجا وانتماء، الأمر الذي نجم عنه مشكلات مضاعفة اضعفت الكيانات السياسية القائمة.¹

المطلب الثالث: صراع الهويات وأثره على بناء الدولة العراقية

أولا: الصراع الهوياتي في العراق

شغلت مسألة الصراع على الهويات في العراق حيزاً مهماً من اهتمامات الكثير من النخب الثقافية والأكاديمية، وشرائح واسعة من المجتمع العراقي، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1920م والى اليوم والذي اتخذ أشكالاً متعددة ، فالصراع نقصد به هنا هو ما بين الهويات الفرعية كالعربية مع الكردية وكذلك المذهبية بين الطوائف الدينية والذي اثر ولازال يؤثر على الهوية الجامعة والعليا للمجتمع وهي "الهوية الوطنية للدولة" ، برزت الصورة الجلية لهذا الصراع وبعثت بعد التغيير الذي حدث عام 2003. أسباب كثيرة عمقت الصراع على الهويات في المجتمع العراقي وأثرت على هوية الدولة، تمثلت في التهميش والاضطهاد الذي وقع على طائفة معينة دون أخرى ،وكذلك قومية على حساب الأخرى، من قبل ما يعرف بالمجتمع السياسي أو أنظمة الحكم التي تعاقبت على حكم هذا البلد، فمنذ أيام حكم الدولة العثمانية للعراق والهوية الوطنية العراقية تعاني التمزق بفعل الموقع الجغرافي للعراق الذي كان يمثل منطقة الفصل بين القوى، أو الإمبراطوريات المتنافسة آنذاك

¹ حسان بن نوي، مرجع سبق ذكره، ص، 96، 97.

(العثمانية والفارسية) فكان وقتها ولازال أيضا يمثل ساحة التنافس الحقيقي بين تلك القوتين لذلك كل ما كان موجودا من ثقافات يرسخ في الانحياز أما إلى الدولة العثمانية أو للدولة الفارسية.¹

فقد عانى العراق منذ نشأة الدولة العراقية عام 1921 ظروف سياسية واجتماعية عصبية، فهو واحد من أكثر بلدان المشرق العربي أزمات ومشاكل، وقد كان ولا يزال مثقلاً بتركة من التخلف العشائري والتناقض المذهبي والتي صاغت ظروف نهاية الحقبة العثمانية والاحتلال البريطاني والأمريكي، إضافة إلى الأنظمة السياسية التي حكمته والتي افتقرت جميعها إلى المشروع الوطني؛ مما شكل عدة أزمات مترابطة كالهوية والاندماج والاستقرار السياسي في علاقاته الاجتماعية مع مكوناته المختلفة ومع الدول إقليمياً ودولياً.²

والانتماء للمواطنة في ذلك الوقت كان العامل الديني هو المحدد الرئيس له لان كل من الإمبراطوريتين المجاورتين للعراق اعتمدتا على أسس ومصوغات دينية تنطلق كل منها في إخضاع الآخرين لهيمنتها ، وبحكم سطوة الحكم العثماني على العراق آنذاك ، ولأسباب قومية وطائفية لم تترك للمكونات العراقية المتمثلة في (الشيعة والسنة والأكراد) مجال في الحكم والإدارة ،وبذلك ترك ومنذ ذلك التاريخ غياب الشعور بالمواطنة وهوية الانتماء للدولة فالمكون الشيعي تم التعامل معه على أسس طائفية وانه ظهير للدولة الفارسية بالاعتماد على حجمه السكاني بالنسبة لإقليم العراق، لذلك تجذرت الهوية والثقافة الدينية لديه، وأصبحت الهوية الأسمى في كل تعاملاته وتفاعلاته مع الدولة العثمانية وما تبعها من أنظمة حكم.³

¹ باسم عبده عون فاضل، صراع الهويات وأثره على بناء الدولة العراقية، مركز الفرات ، 2015/03/19 ، ص 3.

² مجاهد الطائي، مقالات مفهوم الهوية العراقية : هل لازلت عراقياً ، 2016/01/19 ، ص 2

³ باسم عبده عون فاضل، مرجع سبق ذكره، ص 5.

فالمكون السني بالرغم من التقارب المذهبي¹ بينه وبين الهوية الدينية للدولة العثمانية قد تم التعامل معه على أنه حليف غير موثوق به وتم إبعاده أيضاً مما حدا به نحو الهوية القومية ، الكرد تم التعامل معهم أيضاً قومياً، وهذه حقائق تؤكد كنها التاريخ ووقائع الأحداث التي لازلنا نعيش ترسباتها اليوم ، فعند انتهاء حكم العثمانيين ومع بداية تأسيس الدولة العراقية الحديثة حدث ما لا يختلف كثيراً عن السابق ولازال إلى الآن ولكن بصورة أخرى، وهي تسخير الهوية الوطنية العليا للدولة في خدمة الهويات الفرعية والأمثلة على ذلك كثيرة، فمع قيام النظام الملكي في بداية تأسيس الدولة العراقية الحديثة والمعهد بثلاثيته المتمثلة في(العائلة المالكة والضباط العثمانيين مثل نوري سعيد والانتداب البريطاني) سخرت هوية المواطنة والدولة بخدمة الهويات الطائفية حيث أبعد المكون الشيعي عن ممارسة أي دور في إدارة الدولة والمؤسسات العراقية آنذاك، إلا ما ندر² .

ثالثاً : بناء الدولة العراقية الحديثة (من الملكية إلى الجمهورية):

من المعروف أن الدولة العراقية الحديثة تشكلت عام 1921 تحت رعاية الانتداب البريطاني الذي دام حتى 1932، حيث أضحي العراق بلداً مستقلاً وعضواً في عصبة الأمم آنذاك وكان الكيان الجديد مجتمعاً مكوناً من مجموعات اجتماعية عدة تتداخل مكوناتها المتنوعة والتي تتقاطع وتتباين مع تعدد الولاءات الطائفية والمذهبية فالعرب المسلمون تعددت طوائفهم بين السنة والشيعية ومذاهب أخرى، والأكراد تعددت مذاهب بين الأكراد السنة والشيعية وتنوعت أخرى بينهما وقد أرتبط هواء في تنظيمات عشائرية ، وفرت لها بناءات اقتصادية واجتماعية مناسبة وقد أتسمت هذه التقسيمات بدورها بتعدد الولاءات، أن مؤسسي الدولة العراقية فشلوا في بناء هوية وطنية أو بناء روح للمواطنة والشعور بالهوية الواحدة وكان

¹ التقارب المذهبي، هو محاولة في التعريف والتقريب بين نحلتي مختلفتين إجتهدا في الدين .

² هاجر ختال، مرجع سبق ذكره، ص 96 .

الملك فيصل قد أشار إلى ذلك بقوله (إنه في اعتقادي لا يوجد شعب عراقي بعد بل كتل بشرية خالية من فكرة الوطنية لا تجمع بينهم جامعة) وبالطبع كان هذا هو واقع الحال المجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية ونشوء الدولة العراقية وقد حاول الملك فيصل توحيد الشعب العراقي وتشكيله عبر تحقيق شيء من العدالة الاجتماعية والتوازن بين مؤسسات داخل الدولة وتوسيع مشاركة العراقيين في المؤسسات الوطنية لتقوية شعورهم بالانتماء للدولة بدل الانتماءات الدينية والطائفية لكن هذه المحاولات كانت ذات فعالية محدودة في خلق الهوية الوطنية الجامعة¹.

وبالتأكيد أن تأسيس دولة ما يفرض الإجابة على سؤال ماهية هويتها وإن سرعة ووحدة ووضوح الإجابة على هذا السؤال غالباً ما يجنب الدول الأزمات ويحقق لها الثبات والاستقرار. لكن العراق اليوم مزال يعاني ومنذ تأسيسه من مشكلات انتهت في محصلتها تأصيل الهويات الفئوية لما دون الدولة. والانتقاص من المشتركات التي تجمع الشعب العراقي وقد تمثلت المشكلات في أن تعيين الحدود الراهنة للدولة العراقية تم وفقاً للمصالح البريطانية وأن الوضع الاقتصادي كان غير مناسب لبناء طبقة وسطى تعد أساساً لبناء هوية وطنية وأن القيادات الفئوية لما دون الدولة بقيت فاعلة كرجال الدين وزعامات العشائر والإقطاع² وخلال الحكومات الجمهورية التي تشكلت عقب انتهاء النظام الملكي. فقد اختلف الوضع قليلاً فمع مجيء حكومة عبد الكريم قاسم . والتوجه الكامل إلى الشعب بكل طوائفه أعطى الناس شعوراً حديثاً بالانتماء، خاصة بصدور قانون الإصلاح الزراعي الذي منح الآلاف من الفلاحين ملكية الأرض من ناحية وتوزيع السكنات أضفى قناعة بأن الحكومة الجديدة هي لكل الشعب رغم عدم تمكن الدولة من الوصول إلى درجات كبيرة من النمو

¹ حسان بن نوي، 8، مرجع سبق ذكره. ص 90 .

² علي عباس مراد، اشكالية الهوية في العراق: الأصول و الحلول، مجلة المستقبل العربي، العدد 390 ، أوت 2011، ص

خلال الفترة ما بعد عبد الكريم قاسم وحتى الصفحات الأولى من تاريخ البعث وأثناء حكومة البعث توجهت الدولة إلى للتنمية بدرجة كبيرة وكان تأمين النفط هو القفزة التي دفعت بميزانية العراق إلى مستويات مرتفعة . هذا ما دفع الشعب للوقوف بجانب الحكومة وقد خلق القانون العراقي فر تلك الفترة مساواة شبه كاملة بين أفراد المجتمع ودفع الفرد للتنازل عن الولاء للدين والعشيرة والتوجه للولاء للدولة تحت سيادة القانون وبتطبيق هذا القانون الذي خلق حالة من الولاء للدولة ويرى بعض المحللين أن فترة السبعينيات هي العصر الحقيقي للشخصية العراقية وفي تلك الفترة تشكلت الشخصية العراقية فلم تكن الحكومة مذهبية التوجه بل نجد شخصيات كثيرة وقوميات عدة ممثلة كذلك أن الوظائف التي توفرها الدولة للشعب ولم يختلف عليها أحد.

إن قيام الحرب العراقية الإيرانية، جعل العراق يعتمد كلياً على هذا الإرث الكبير من البناء الهوياتي للشخصية العراقية . فالشعور الوطني كان طاغياً جداً بحيث لم يكن في تلك الأيام يسمع صوت يعلو فوق صوت الوطنية لكن مع الوقت بدأت الحرب تطول من جهة وبدأت الحكومة العراقية تميل للتركيز للولاء الطائفي من جهة أخرى بدأت عدم الثقة ينمو بين المكونات والحكومة تدريجياً . فالشعور بوجود المفاضلة بين الطوائف والقوميات في جبهات القتال أدت لتفعيل هذه الانتماءات رغم الاستمرار في رفع الشعارات الهوياتية ولكن هذا الصوت بقي تحت سيطرة الدولة والدولة كانت قوية تخمده بقسوة أحياناً ولكن الشرخ الحقيقي بدأ في نهاية حرب الكويت التي حطمت كل شيء في العراق والذي لم يعد كما كان¹ (ان ضرب الانتفاضة الشيعية في الجنوب وضرب المكون الكردي في الشمال) خلق فجوى كبيرة بين الحكومة والمكونات الرئيسية في العراق فاستجلبت هذه الحالة دول التحالف بقيادة أمريكا

¹ أحمد سلمان، محمد شتاوة ماتبقى من الوطنية العراقية، الحوار المتمدن، العدد 2983 ، 2010 أنظر موقع

<http://www.ahwar.org/dedat/show.art3asp?aid212605>

¹ علي عباس مراد ، مرجع سبق ذكره، ص 85 .

لحماية الأكراد وتحرير الكويت، هنا بدأت تتراجع الهوية العراقية الجامعة في ظل هذا الوضع، الأهم من هذا أن الممارسات الأيديولوجية في العراق ومنها الممارسات الشمولية، ومنها القومية العربية فلم تعمل على بناء الدولة مستقرة ودائمة بقدر ما عملت على بناء دولة تطمح حسب رؤاها إلى دولة اتحادية كبرى تجمع الدول العربية أي أنها لم تكن سوى مرحلة انتقالية لتحقيق الوحدة حسبما تدعي إيديولوجيا الأحزاب القومية¹. أن الهوية القومية لدى الفرد العراقي كانت قد تعرضت للكثير من التشويه من جراء ما مارسه المجتمع السياسي من خلال فهم أن الهوية تعني إلغاء الذات وتقمص ذات أخرى تفرض قسرا وبهذا فإن الهوية الوطنية العراقية لم تتبع من ذات الأفراد بشكل تلقائي بل تمت هذه العملية من خلال ما قامت به الدولة ونخبها الأيديولوجية القومية والتي مارست عمليات صهر والدمج القسري لجميع المكونات الشعب العراقي على اختلاف أطيافه الإثنية والعرقية والدينية. ان الصراع الذي حصل في علاقة الدولة مع المجتمع يبين أن الدولة لديها مشروع سياسي بعيد عن تطلعات وثقافة المجتمع أو يتقاطع مع الخلفية الثقافية لبعض المكونات. مما أفضى بالدولة إلى أن تمارس القسر والإكراه لفرض مشروعها السياسي وكذلك أن طبيعة بناء السلطة في العراق خلال العهد الجمهوري وخاصة خلال آخر عهده اتسمت بقيامها على جهاز بيروقراطي غير منتج تم إفساده من خلال النظام وسياساته كذلك المنظومة الأمنية التي تسعى للحفاظ على السلطة والسلطة هي الدولة بالإضافة إلى النهج الاشتراكي فسيطرة الدولة على مناحي الحياة .فرض رفضا كليا لهذا الواقع و أدى إلى صعود الهويات الفرعية و قد ظهر تصارعها جليا بعد الغزو الأمريكي سنة 2003.²

² حيدر قاسم الحجامي، اشكالية الهوية الوطنية، ص1 على الموقع الالكتروني
<https://www.aljadidah.com/2010/10/06>

رابعاً: صراع الهويات بعد سنة 2003

فالعراق بعد 9/4/ 2003 ومن خلال تعرضه للاحتلال والتدمير في بناه التحتية جميعاً، وتعرض مؤسساته القانونية والشرعية للتدمير، قد دخل مرحلة الخطر، وأصبحت وحدته الوطنية مهددة بالشظية وغابت هويته الوطنية، تحت عناوين الهويات الفرعية القومية والدينية والطائفية ودخل في مرحلة مقدمات الحرب الأهلية الطائفية. ولقد ساهمت القوى السياسية بمختلف اتجاهاتها على تفتيت الهوية الوطنية، إذ ان السياسيين الطائفيين هم سبب هذا التصدع الحاصل في الهوية لذا لا نعول على السياسيين في المعالجة فهم جميعاً مسؤولون عن هذا التصدع في الهوية الوطنية. وفي الحقيقة، ان الهوية لم تكن ضائعة في العراق وان العراقيين لا يختلفون عن اي بلد عربي مثلاً ولكن الروح الوطنية وتداخل الدين والعشيرة وضعف القانون وهبوط المستوى السياسي أدت الى ذلك اضافة الى ان الطائفية إذا كانت هي واحدة من اسباب غياب الهوية الوطنية فأنها لم تكن وليدة اليوم والصراع المذهبي الحالي لأنها موجودة منذ بداية تأسيس الدولة العراقية.¹

اليوم وبعد عملية التغيير ونتيجة للتشردم في هوية الدولة من قبل الأنظمة السالفة أصبح المواطن العراقي يبحث عن هويته القومية والمذهبية ليجعل منها ظلاً يستظل به بعد فقد الأمل بهوية المواطنة والدولة، وهذا ليس عيباً فيه، بل العيب كما اشرنا بالمجتمع السياسي الذي عمق هذا الشعور والولاء لدى المواطنين بالهويات الفرعية ونسيانهم وبالكاد عدم إيمانهم بالهوية الوطنية التي لم يلمسوا منها طيلة العقود غير العناوين والشعارات. صراع الهويات بعد عام 2003 ، وما عمق من تمسك المواطن العراقي بهويته الخاصة على حساب هوية المواطن، والدولة هي تلك الآلة الإعلامية الغربية والإقليمية فتارة تراها تتعت مكون يشكل 70% من سكان العراق بالصفوي وتشعره بالتبعية وتعزز الانتماء الطائفي

¹ منى حسين عبيده، أزمة الهوية الوطنية في العراق: آراء وأفكار، دراسات شبكة النبا المعلوماتية، 2018/01/17.

والديني لديه على حساب الانتماء للوطن وكأن الهوية الوطنية العراقية تحددت بعد تهجير حوالي 70% من سكانه، وهذا هو تدمير العراق كما يريده الغرب والإقليم.¹

خامسا: مقومات الصراع الهوياتي في العراق

- 1- أنظمة الحكم الأجنبية التي تعاقبه على حكم العراق وخصوصا العثمانية والبريطانية .
- 2- أنظمة الحكم من داخل العراق والتي اتخذت من القومية والطائفية تبريراً في حكمها والحفاظ عليه وممارسة التمييز والتعسف باسمها على حساب الآخرين من القوميات والمذاهب الأخرى.
- 3- الموقع الجغرافي المحوري للعراق وإحاطته بقوى إقليمية متنافسة في الصراع والنفوذ على المنطقة.
- 4- افتقار الدولة العراقية منذ تأسيسها والى وقت قريب إلى الشخصيات والرموز ذات المناهج والأفكار الوطنية الصرفة في بناء الدولة وسيادة المواطنة فيها وعلوها مع احتفاظهم بهوياتهم الخاصة قومية أو مذهبية كانت.
- 5- غياب الوعي والإدراك لدى المواطن العراقي بأهمية المواطنة وأولوية هوية الدولة ومؤسساتها على الهويات الأخرى.²

سادسا: أهم الآثار المترتبة عن الصراع الهوياتي

إذا كانت الدولة هي مجموعة أدوات عقلنة المجتمع فإن التفكير الطوائفي لا يقوم ابدا على تنمية الصلات وهو ملازم لبنية الدولة العراقية المتجلى في ممارسات أنظمة الحكم

¹ باسم عبده عون فاضل، مرجع سبق ذكره، ص 8.

المتعاقبة منذ تأسيسها، وبسبب هذا الوضع لم تتشكل الدولة الأمة، فرغم الشعارات الإيديولوجية العصرية ظل العامل العنصوي الهوياتي الطائفي هو المرتكز السوسيولوجي الذي تقوم عليه السلطة وكيان الدولة التي إقامتها، وان السلطات الحاكمة التي رفعت الشعارات القومية كواجهة لطالما كانت تخفي وراءها ممارسات تتسم بالطوائفية والحال نفسه يحصل حالياً، حيث ترفع شعارات ديمقراطية، لكنها تخفي وراءها أسوأ أنواع التمييز الطائفي.¹

ومن اهم الاثار التي يتركها صراع الهويات على الدولة:

- 1- وقوع البلاد في دوامة الصراع الطائفي العرقي والقومي دون أي ربح فيه بل الكل نال نصيب الخسارة على السواء.
- 2- ضعف هيبة الدولة بسبب التدخلات الإقليمية والدولية لحساب قومية على أخرى وكذلك ديانة على حساب أخرى وطائفة على حساب أخرى.
- 3- تأخر مسيرة البلاد الاقتصادية والعلمية والثقافية وانشغال مكوناتها في ما بينها وسيادة التعصب الأعمى في التعبئة القومية والطائفية والدينية وأثار هذا التعصب باقية في النفوس لوقت طويل.
- 4- غياب الثقافات الوطنية الجامعة لهوية الدولة والابتعاد عنها وتشويه ومحاربة متبنيها.
- 5- استخدام القومية والدين والطائفة كوسيلة لوصل السلطة في ظل نظام ديمقراطي من المفترض أن تستخدم المهنية والكفاءة الإدارية والقانونية والثقافية العابرة لتلك الثقافات في الوصول للسلطة، أمام كل هذا الانتفاخ حول الهويات القومية والدينية والطائفية في العراق والصراع فيما بينها والابتعاد في المقابل عن الهوية الوطنية أصبحت الحاجة ملحة اليوم في التفكير بالحاضر والمستقبل في ضرورة تجسير الهوية بين هذه الهويات لخلق

¹ عبد الله العروي، مفهوم الدولة، ط5، بيروت: دار الساقي للنشر، 1993، ص 74.

الهوية الوطنية، وهذا بحاجة إلى جهد يتحمل عاتقه كل أفراد المجتمع وخاصة النخب السياسية والأكاديمية والدينية والثقافية ، فبناء الدولة في عالم اليوم يختلف عن سابقتها في الماضي ، تتمثل هذه المقومات في بناء مواطنة يقف جميع أفراد المجتمع داخلها على خط واحد متساوين في الحقوق والواجبات ويطرح البعض من الدراسيين مفهوم دولة المؤسسات لمعالجة صراع الهويات الأزلّي في العراق وهي التي تقوم على حياد الدولة بمؤسساتها تجاه المواطنين وما يحملونه من هويات خاص بهم ، وهنا لا احد فوق القانون متاحة للجميع.¹

المبحث الثاني: نشأة الدولة اللبنانية الحديثة وأهم تقسيماتها الهوياتية والطائفية.

تناول هذا المبحث تاريخية نشأة الدولة اللبنانية و أهم تقسيماتها الطائفية ففي المطلب الأول تطرقنا إلى تاريخية النشأة و في المطلب الثاني تطرقنا إلى اهم التقسيمات الهوياتية و الطائفية و في المطلب الثالث تطرقنا إلى أثر الهوية الطائفية في بناء الدولة اللبنانية .

المطلب الأول: تاريخية نشأة الدولة اللبنانية.

لبنان قطر عربي يقع غرب القارة الآسيوية، يحده شمالا سوريا وفلسطين شرقا، ويطل من الغرب على البحر الأبيض المتوسط، بين خطي عرض(33.5-34.43)، وخطي طول (35.5_36.33) شمالا بمساحة 10452 كم²، وعاصمتها بيروت ونظام الحكم فيها جمهورية برلمانية، عدد سكانها حاليا يقدر 6.5 مليون نسمة.²

¹ عبد الله العروي ، مرجع سبق ذكره ص 75 .

² محمد الجابري، موسوعة دول العالم، ط1، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000، ص 210.

أولاً: نشأة الدولة اللبنانية تاريخياً:

في الأول من أيلول 1920 أعلن الجنرال غورو دولة لبنان الكبير في حدودها الحالية، وفي رعاية فرنسية في ظل نظام الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم، وفي 8 تشرين الثاني 1943 حررت الحكومة اللبنانية دستور 1926 من النصوص التي تعطي صلاحيات مطلقة للمفوض السامي، فردت المفوضية العليا الفرنسية باعتقال القيادات السياسية العليا في لبنان في 11 منه وسجنتهم في قلعة راشيا التاريخية، وامتألت ساحات لبنان بتظاهرات صاخبة في مختلف المناطق، ومن جميع الطوائف، ومورست ضغوط كبيرة من جانب دول عربية وعالمية كبيرة، مما اضطر الفرنسيين إلى اطلاق المعتقلين في 22 تشرين الثاني 1943 الذي اعتُبر عيداً رسمياً لاستقلال لبنان الوطني. فما هي أبرز حقائق تلك المرحلة من تاريخ لبنان المعاصر، بأبعادها الداخلية والإقليمية والدولية.¹

لبنان:

1-استقلال

أعلن الفرنسيون دولة لبنان الكبير تحت شعار تدريب اللبنانيين على حكم أنفسهم بأنفسهم من دون وصاية خارجية، كما ورد في صك الانتداب، لكن إدارة الانتداب مارست وصاية حقيقية على السوريين واللبنانيين معاً، وعيّنت حاكماً فرنسياً على دولة لبنان الكبير. حفظ دستور العام 1926 للمفوض السامي الفرنسي صلاحيات مطلقة مكّنته من تعديل الدستور أو تعطيله ساعة يشاء. وتولت إدارة الانتداب شؤون الجمارك، وأطلقت شركة الريجي التي تحكمت بمزارعي التبغ. فكان على اللبنانيين والسوريين العمل معاً لنيل الاستقلال التام من دون وصاية أو حماية. وفي العام 1932 شجعت بريطانيا العراق على دخول عصبة الأمم، مما دفع اللبنانيين والسوريين إلى المطالبة بإبدال الانتداب الفرنسي بمعاهدة صداقة وتعاون

¹ مسعود ضاهر، "استقلال لبنان في حقائقه التاريخية وميثاقه الوطني، ط3، بيروت: دار المنهل اللبنانية، ب.ت.ن، ص

في ظل حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا التي شجعت هذا التوجه إلى أن تخلت عنه بعد سقوط حكم الجبهة، فقرر اللبنانيون والسوريون خوض معركة الاستقلال التام لإخراج القوات الفرنسية من أراضيها.¹

كانت غالبية القوى اللبنانية في بداية عهد الانتداب منقسمة بين كتلة توالي الفرنسيين وأخرى تعارضهم، وبعدها خبر الجميع حكم الوصاية الفرنسية، توزعت القوى السياسية الرئيسية في لبنان بين الكتلة الوطنية والكتلة الدستورية، وكلتاهما ترفع شعار استقلال لبنان، وبعد سلسلة مؤتمرات الساحل الإسلامية المنادية بالوحدة مع سوريا، تراجعت حماسة الوجدانيين اللبنانيين بعد مؤتمر 1936، ودعت الكتلة الوطنية في سوريا اللبنانيين إلى النضال من أجل استقلال وطنهم أولاً، وتعزز الشعور الوطني بالاستقلال عند فئات واسعة من اللبنانيين على قاعدة التخلي عن الحماية الفرنسية مقابل التخلي عن شعار الوحدة الاندماجية مع سوريا. وبعدها سقطت فرنسا في الحرب العالمية الثانية تحت الاحتلال الألماني، تشكلت فيها حكومة فيشي الموالية للألمان، وحكومة فرنسا الحرة الموالية لدول المحور. وتصارع الفرنسيون الأحرار والفيشيون في مناطق انتدابهم. وأعلن الجنرال كاترو استقلال لبنان في (8 كانون الأول 1941) باسم الجنرال ديغول، فانتهز اللبنانيون الفرصة للمطالبة باستقلال كامل وغير مشروط ببقاء موقع متميز لفرنسا. بدورها، شجعت بريطانيا اللبنانيين على طلب الاستقلال التام، ورفضت إبقاء موقع متميز لفرنسا، وعملت على الحلول مكانها في سوريا ولبنان. لكن الحرب العالمية الثانية أفرزت قوى عالمية جديدة على الساحة الدولية أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي. فتعاونت الدولتان في مجلس الأمن الدولي على إخراج بريطانيا وفرنسا من المناطق الخاضعة لانتدابهما، واستخدم السوفيات الفيتو في

¹ عبد الله الفتوني، تاريخ لبنان الطائفي، ط1، بيروت: دار الفاربي، 2013، ص 18.

مجلس الأمن لإجلاء القوات الأجنبية عن سوريا ولبنان، في الوقت عينه، برز تحالف وثيق بين قيادات لبنانية وسورية في معركتي الاستقلال والجلء ضد الانتداب الفرنسي.¹

حققت معركة الاستقلال ايجابيات كثيرة للبنانيين، فأصبح لبنان دولة مستقلة ذات سيادة، وتبنت العلم اللبناني الجديد، والنشيد الوطني، وتسلمت الإدارة اللبنانية، وبنيت الجيش الوطني، وشاركت في توقيع بروتوكول الاسكندرية وتأسيس جامعة الدول العربية. وأصر قادتها على جلاء جميع الجيوش الأجنبية عن الأراضي اللبنانية، ودخل لبنان في الأمم المتحدة عضواً مؤسساً، وتحررت الليرة اللبنانية من وصاية الفرنك الفرنسي أولاً، ومن دمجها بالليرة السورية ثانياً. وأقرت الدولة الجديدة الانفصال الجمركي وتحديد المصالح المشتركة بين الجانبين اللبناني والسوري، وغيرها. وعمل قادة الاستقلال في البلدين على فك التحالف التاريخي الذي ساعد على إنجاح معركة الاستقلال، وساروا على طريق القطيعة الاقتصادية وتعزيز الحواجز الجمركية بين البلدين.²

المطلب الثاني : أهم التقسيمات الهوياتية و الطائفية.

ينقسم لبنان مجتمعياً إلى العديد من الطوائف و الهويات التي أثرت الحياة السياسية اللبنانية حيث يشكل فيه الموارنة والروم الارثودوكس والبروتستانت (33%) من السكان والمسيحيون غير العرب والأرمن الارثودوكس والكاثوليك والبروتستانت والسريان اللاتين و الأقباط (05%) كما يشكل الدرز (06%) والعلويين (كالدروز من الشيعة الباطنية) و الأكراد والترك وكل منهم يشكلون (01%).

¹ مسعود ضاهر، مرجع سبق ذكره، ص 12.

² حسان بن النوي، مرجع سبق ذكره، ص

هذه التركيبة الطائفية المعقدة استغلت في الكثير من الاحيان من قبل قوى خارجية اقليمية ودولية، وبعض القوى المحلية من اجل تحقيق المكاسب السياسية واقتصادية وذلك منذ القرن (18)، غير ان ذروة هذا الاستغلال ظهرت خلال الحرب الأهلية اللبنانية (1975_1990) أكثر وضوحاً.¹

كما تجدر الإشارة الى ان بعض العصبية التي يربطها الانتماء المشترك والهوية الطائفية أو الجهوية أو القبلية قد سيطرت على اجهزة الدولة ووصل اكثرها اهلية الى سدة السلطة في الكيانات التي شكلت بلدان المشرق العربي (المسيحيون في لبنان اثر اتفاقية سايكس بيكو) وللعامل الديموغرافي أهمية، فالإحصائيات تؤكد ان لبنان اليوم هو بلد ذو اقلية مسلمة بسبب الاغتراب المسيحي، حيث يبلغ عدد المغتربين المسيحيين حوالي (03) ملايين مسيحي لبناني مغترب، فالمسلمون في لبنان سنة وشيعة يمثلان اقلية بالنسبة لباقي الهويات الطائفية.

وعليه فالتغيرات الديموغرافية، لها انعكاسات على الوضع السياسي والاجتماعي في لبنان وعلى وضع التوازنات داخل السلطة وفي تحديد في ما اذا كان ذلك عامل استقرار للنظام السياسي من عدمه.

وتشير الى ان لبنان ينفرد عن بقية الدول، في ان الأقليات فيه ليست متواجدة ضمن مناطق الجيو اقتصادية كالأكراد في العراق مثلاً او سكان دارفور في السودان مما يجعل الصراع فيه مقتصر فقط على السلطة والنفوذ داخل اجهزتها ومؤسساتها المختلفة ويعد ذلك عاملاً مهماً في ابعاد فرضية المطالب بالانفصال او الحكم الذاتي للأقليات في لبنان.²

¹ حيزية بركات، مرجع سبق ذكره، ص 47.

² عبد الحليم موساوي، المركز القانوني للأقليات في القانون الدولي لحقوق الانسان، رسالة ماجستير، قانون دولي، كلية الحقوق، جامعة تلمسان - الجزائر، 2007-2008، ص 44.

ويقسم لبنان سكانيا الى قسمين رئيسيين: طوائف مسلمة، طوائف مسيحية، تضم كل منها عدد من المذاهب والطوائف الفرعية وعدد الطوائف المعترف بها في لبنان (18) طائفة، يعود انتماء كل الطوائف المسلمة في لبنان إلى أواسط القرن السابع للميلاد، حيث حلت الجيوش الاسلامية محل الجيوش البيزنطية وسكن المسلمون المدن الساحلية اللبنانية وينقسمون إلى (سنة، شيعة، دروز، وعلويين، اسماعيليين).¹

ويعتبر السنة اكبر طائفة إسلامية في لبنان إذ يشكلون (50%) من المسلمين.²

أولاً: الهوية اللبنانية

إن اسهل تعريف للهوية هو الانتماء للوطن (أي أن وطننا هو هويتنا) ، لكن في لبنان بشكل خاص تتعدد الهويات ويتعدد تركيبها فالهوية فيه سلة تجمع بين الانتماء للعائلة والطائفة والتوجه السياسي والعقائدي وأخيرا الوطن وقد يعود ذلك في أغلب الأحيان إلى فكرة قيام لبنان ، فلبنان كيان ملتبس ومركب، غير واضح المعالم، منذ نشأته لذا نرى في أغلب الأحيان أن الانتماء إليه - تصنيفاً - هو الأخير. إن لبنان الذي نشأ عام 1920 على أيدي الاستعمار الفرنسي، جمع بين طياته شعوب وطوائف مختلفة (مختلفة بكل شيء لا يجمعها إلا الصفة الإنسانية) لذا يختلف اللبنانيين على تعريف هوية لبنان.

كل الذي أوردناه هو هوية لبنان بل الهويات اللبنانية وكل مواطن لبناني يختار هويته المناسبة ، الهوية لا تولد مع الإنسان بشكل كامل إنما ينميها ويطورها ويجسدها بنفسه ويقوي انتمائه لها وهو في الأغلب ينطبع برأي المجتمع الذي يعيش فيه ويتأثر بآراء أسرته

¹ المرجع نفسه، ص 45.

² فارس هاني، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، ب.ط، بيروت:الاهلية للنشر والتوزيع، 1980، ص94.

المحيطة به، طبعاً هذا التصرف أو الفعل خاطئ تماماً لأن الهوية الوطنية يجب أن تكون هوية موحدة ، هي هوية الوطن ولكن ماذا يفعل اللبناني إن كان متعدد.¹

ثانيا : الهويات المتعددة:

سنتحدث الآن عن الهويات المتعددة للبنان حسب كل طائفة من طوائفه : نبدأ بالمسيحيين (الموارنة بشكل خاص) .. يقول المؤرخ المطران يوسف الدبس في موسوعته التاريخية (تاريخ سوريا الديني والديني) : " ما الموارنة إلا سريان سوريون " لقد فاخر رواد النهضة العربية و معظمهم من المسيحيين الموارنة بسوريتهم وعروبتهم وكانوا طليعة المفكرين الداعين إلى الحداثة و الانفتاح . هذه الهوية التي فاخر بها الموارنة منذ نشأتهم حتى بداية القرن العشرين في كتابات الأدباء والشعراء والعلماء والمؤرخين وكانت تعبيراً عن شعور الناس وانتمائهم جرى شطبها ومحاربتها وأصبحت الهوية محض لبنانية وأصبحت كلمة لبنان مرادفة لكلمة مسيحي (قال أحد رجال الدين المسيحي : " عندما يسأل الشخص هل أنت مسيحي؟ يجيب عادةً : نعم بنعمة الله تعالى أنا مسيحي ، يجب أن يضيف إلى هذه العبارة وأحب وطني لبنان) لكن للمسيحيين رابط ديني مع العالم الغربي لم ينفكوا عنه لأنهم مازالوا لأن يشعرون بأنهم ضعفاء لوحدتهم في هذا الشرق... لذا يريرون الحمائية.

أما المسلمون فلم ينفكوا عن المطالبة بالوحدة السورية والعربية ولم يتقبلوا فكرة القومية اللبنانية أو الأصل الفينيقي للبنان فظلوا على مدى السنين يحاولون تحقيق وحدة سورية الطبيعية أو وحدة العالم العربي أجمع . وهنا يبرز التعدد في الهويات بين فئات الشعب اللبناني واختلاف الانتماء وهذا

¹ عبد الله الفتوني، مرجع سبق ذكره، ص 22.

أكثر الصلاحيات نفوذاً ووضعها بالسلطة التنفيذية نتيجة النفوذ الذي كانت تتمتع به المملكة العربية السعودية (ذات الأغلبية السنية) إضافة إلى الدعم الأمريكي... هذه الجمهورية لم تسقط بعد ولكنها مهتدة بالسقوط ، لعدة أسباب:

* على الصعيد الخارجي : ضعف نفوذ المملكة العربية السعودية والدول السنية العربية في المنطقة وازدياد قوة الدولة الشيعية الوحيدة في المنطقة الجمهورية الإسلامية في إيران (النووي الإيراني ، وتحكمها الكامل " تقريباً " بالعراق وضعف القوات الأمريكية فيه).1.

* على الصعيد الداخلي: تحالف مسيحي شيعي لمواجهة السنية السياسية، وبروز نجم "الشيعية" كمشاركين في الحكم في لبنان بعد انتصار الـ 2000 وتبيان قوة حزب الله في حرب تموز 2006 والتكاثر السكاني الذي أصاب الطائفة الشيعية.2.

الجمهورية الثالثة: أي لبنان سـ يكون؟؟

لكن ما يحصل اليوم من تمرد "شيعي" ومساعدة "مسيحية" جزئية، لغاية في نفس يعقوب، يدل على أن الجمهورية الثالثة ستكون جمهورية شيعية نظراً لقوتها الشعبية والعسكرية (سلاح حزب الله) والداعم الإقليمي القوي "إيران" الساعية إلى زيادة نفوذها في المنطقة وإعادة الإمبراطورية الفارسية إلى الساحة ، هذه الجمهورية الجديدة لن تتحقق إلا عبر صفقة إيرانية أمريكية تشمل العراق ولبنان وفلسطين ولن تكون في الوقت القريب.

إن محاولة الموارنة استعادة جمهوريتهم وإعطاء هويتهم للبنان يقابلها تمسك سني وطموح شيعي .

¹ مسعود ضاهر ، مرجع سبق ذكره، ص 46.

خامسا: التسوية السياسية و تمثيل الهويات الطائفية سلطويا

استندت المواثيق التي وضعتها الاطراف الطائفية للوصول الى حالة استقرار في لبنان على وثيقتين اساسيتين واحدة مكتوبة و اخرى غير مكتوبة الاولى تتمثل في دستور 1926 و قد وضعه الانتداب الفرنسي و الثانية تتمثل في ميثاق 1943.¹

التعددية في دستور 1926:

قام بوضعه المفوض السامي الفرنسي الجنرال ساراي و قدمه كمشروع دستور للحكومة الفرنسية و لكنها رأت ان يتم التصويت عليه في المجلس النيابي و هذا ما حدث بالفعل و وافق عليه، لم يحدد هذا الدستور مذهب رئيس الجمهورية و ديانته و تجسدت السلطة التشريعية منه ببرلمان يتكون من مجلسين مجلس النواب و مجلس الشيوخ على اساس التقسيم الطائفي.²

التسوية الطائفية من خلال ميثاق 1943:

وضع الميثاق الوطني بعد الاستقلال كمحاولة لوضع الاسس التي تسمح لجميع الطوائف بالعيش معا في تعاون و انسجام، لذلك اعتبر الميثاق عهدا بين جميع اللبنانيين على ان يكون لبنان فوق كل الخلافات وان يحرص الجميع على استقلاله وسيادته وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى وضع هذا الميثاق، ضرورة التوفيق بين المسلمين والمسيحيين في العيش المشترك.

¹ احلام بيضون، إشكالية السيادة والدولة (نموذج لبنان)، بيروت: مطابع يوسف بيضون، 2008، ص 38.

² خيرات البيضاوي، دور الدستور اللبناني في تفجير الحرب الاهلية، مجلة شؤون فلسطينية، ع (59)، 1976، ص 11.

منذ اعتماد تسوية 1943، كانت جميع الطوائف على قناعة تامة بأن التسوية الطائفية هي ديمقراطية توافقية، أمنت أسس الحياة السياسية في البلد من خلال توفيرها للتمثيل النسبي الطائفي في الحكم، وبالتالي فهي مقدسة لا يجوز المساس بها أو تغييرها، ومن هنا وصف بيار جميل المجتمع اللبناني مجتمع فسيفسائي فريد، يتكون من جماعات وهويات وطوائف مختلفة تتعايش بكل تسامح، والتعاون فيما بينها في جو من الاستقرار للنظام السياسي للدولة اللبنانية، وأكد مرارا على الميثاق الوطني وهو وفاق ابدى وهذه الصيغة هي أفضل ما توصل إليه اللبنانيون بعد (400) سنة من العيش في ظل العيش في الحكم العثماني، كما رأى المسيحيين ان الميثاق جعل من لبنان وطنا نهائيا لهم وانه كان وراء ولادة القومية اللبنانية واعتبرها البعض وسيلة لطمأنة المسيحيين، و إنصاف لمن كانوا يحسون بالاعدل واللامساواة والحرمان، كما رأوا ايضا في الميثاق انعكاسا لحالة اندماج مجتمعي بعد ان كان لبنان غير موحد أو فدرالية طائفية، التي كانت عليه في جبل لبنان.¹

سادسا: اتفاق الطائف عام 1989

في عام 1989 تم توقيع اتفاقية لوضع حد للحرب الاهلية اللبنانية في مدينة الطائف السعودية، فلا شك ان الاتفاقية وضعت حدا لسفك الدماء الذي استمر ل (15) عشر عاما، ذلك ان الحرب ازدادت عنفا ودموية عقب الفراغ الدستوري الذي حصل عام 1988 ومن ثم قيام حكومتين في بيروت وتقسيم الجيش بين مؤيد لحكومة سليم الحصوفي في ظل هذه التداعيات الخطيرة، اتخذت القوى الكبرى القرار بوقف الحرب وكان ذلك في 05 نوفمبر 1989 في مدينة الطائف السعودية حيث تم الاجتماع بين اعضاء البرلمان اللبناني برعاية عربية سورية سعودية أمريكية، وبمساعي حميدة من الدبلوماسية الجزائرية على رأسها وزير الخارجية الأسبق الأخضر الإبراهيمي، حيث وقعوا على الدستور الجديد للجمهورية اللبنانية

¹ حمدي الطاهر، سياسة لبنان في الحكم، ط1، القاهرة: المطبعة العالمية للنشر، 1979، ص 15.

بيدا انها كانت غير واقعية في أمور عدة لاسيما أنها اعتبرت أن لبنان بلدا حرا مستقل ذو سيادة كما قالت ففرتها الافتتاحية وهو بلد حكم عليه بأن يكون ملعبا للقوى الدولية حتى بعد الحرب الاهلية ولا يدل على ذلك اكثر من احتلال سوريا و إسرائيل لأجزاء منه لسنوات بعد اتفاقية الطائف، بل وربما الاتفاقية نفسها التي اوكلت للجيش السوري دعم القوات اللبنانية في بسطها لسيادتها على كامل اراضيها.¹

مشكلة لبنان منذ تأسيسه، عدم سعي المؤسسين لطبع هوية واحدة منفردة، فظل مرتبطاً بالعرب من جهة وبالاستعمار من جهة وكل من هذه الارتباطات كان تولد هوية جديدة يتلقفها عدد من اللبنانيين فيعملون عليها وينسون الشريك الأخر، فالقومية العربية والقومية السورية والقومية اللبنانية وكل قوميات العالم اجتمعت في لبنان والمواطن على ما يبدو يحب تجربة كل ما هو جديد فكان يتبنى كل هذه الأفكار ويقدم لها الدعم والتأييد، بالإضافة إلى ذلك لا يجب أن ننسى أن لبنان مؤسس على يد الاستعمار الفرنسي الذي حكماً وضع العراقيل في وجه قيام كيان لبناني متماسك لأنه يعرف أن نهاية أي استعمار ستكون بوحدة البلد المستعمر، فغذت الطائفية التي كانت بدأتها الدول الغربية قبل استلامها زمام الأمور في الشرق وتحدث هنا عن العهد العثماني والذي كان لأوروبا فيه دور كبير فيما يتعلق بلبنان أو متصرفية جبل لبنان وحتى ما قبلها كان الغرب يعمل على الطائفية ويقسم النفوذ والمغانم والسلطات على أساسها، فكبرت الطائفية وما عدنا نستطيع حصرها ومحاصرتها.²

وصفت الاتفاقية لبنان بأنه بلد عربي بإنتمائه وهويته وهو ما قد يختلف حوله بعض المنتسبين للثقافة الفرنسية والمتأثرين بالاستعمار كما وصفت كذلك الرئيس بأنه رمز لوحدة البلاد، أشهر ما تضمنت الاتفاقية هو القضاء على الطائفية السياسية وهي توزيع المناصب

¹ علي عبد الله فتوني، تاريخ لبنان الطائفي، ط1، بيروت: دار الفاربي، 2013، ص 165.

² عاصم بدر الدين، لبنان بلد الالف هوية، الحوار المتمدن، 15.08.2007 من الموقع: <http://www.ahewar.org/> شوهد بتاريخ: 20.05.2019 على الساعة: 23.50.

السياسية والإدارية طبقاً للمذهب الديني وتعداد معتنقيه في كافة المجالات العسكرية والأمنية والقضائية والعامة والمستقلة، يعود هذا النظام ربما الى المرحلة العثمانية ولكنه تجذر في مؤسسات الدولة في الميثاق الوطني لعام 1943 الذي هندسه الرئيس بشار الخوري ورياض الصلح اللذان قسما السلطة الطائفية وان مالا بالكفة قليلا لصالح المسيحيين الموارنة، نصت الاتفاقية كذلك على الغاء خانة الديانة في بطاقة الهوية، والتي عرضت الكثيرين الى خطر الذبح في نقاط التفتيش أثناء الحرب الأهلية، لكن اللبناني يكفيهم معرفة الاسم الاخير او مكان الميلاد للتعرف على الهوية الطائفية لأي شخص.¹

المطلب الثالث: أثر الهوية الطائفية في بناء الدولة اللبنانية

أولاً: اتخذت الأمور نواحي عدة ذلك انه منذ نشأة دولة لبنان الكبير عام 1920 رحب قسم من اللبنانيين بالانتماء الجديد في ما عارض القسم الاخر هذا الانتماء وتمسك بالمملكة السورية التي أسسها فيصل بلحسين والتي لم تعمر أكثر من سنة، ففي النهاية اتفق هذان الفريقان على رفض الهوية العثمانية التي اندثرت اصلا بعد هزيمة الدولة العثمانية وانهارها، نظر المسلمون إلى الهوية اللبنانية أنها هوية مسيحية من نتاج الحرب العالمية الاولى ومخلفات الوصاية الفرنسية وكانت المهمة الكبرى للكيان الجديد هي انشاء هوية وطنية تشكل لحمة لأبناء الوطن الجديد فلا شك اذا ان القوة لها العامل الأساسي، فقوة الانتداب الفرنسي كانت حاسمة في فرض الهوية اللبنانية رسمياً على جميع الذين يعيشون ضمن حدود لبنان الكبير، لكن ما لم يستطعه الفرنسيون هو تحويل هذه الهوية الوطنية الى هوية وطنية سياسية جامعة، فكانت أصوات المسلمين التي تتحدث عن الهوية اللبنانية وتتبنها قليلة وبعيدة عن المزاج العام في مجتمعها وكان الانتماء السوري في أول المراحل أقوى عند المسلمين، لذلك فإن نشهد اليوم نتائج هذا التفرق الهوياتي الذي لم

¹ بيلين فرنانديز، لبنان: ربع قرن على اتفاق الطائف، ب.ط، 6 نوفمبر 2014 على الموقع:

<http://www.noonpost.org/content/4202> تم تصفح الموقع: في 30 ماي 2019.

يستطع ان يلم شمل اللبنانيين على فكرة الوطن الواحد وخلف وراءه حربا اهلية مدمرة اتت على كل افكار الوحدة الوطنية وكرست الانقسام الهوياتي والطائفي.¹

فعلى رغم مرور أربعين سنة على انفجار الحرب الأهلية المدمرة لعام 1975 التي طالت الإنسان والأرض والاقتصاد، وما رافقها من صيغة اتفاق الطائف الذي أعلن في العام 1989 بمشاركة عربية ودولية لوقف الحرب في لبنان، لم يستخلص زعماء الطوائف اللبنانية الدروس اللازمة لمنع تجدد الحرب الأهلية في لبنان. فإلى جانب تكريس عروبة الذات، كرس اتفاق الطائف، والدستور الذي بني على أساسه، صيغة طائفية هشة نسفت ركائز الإدارة اللبنانية، وعرضتها للشلل التام، ومنعت كل أشكال الإصلاح السياسي والإداري، فتحوّلت الطائفية إلى مذهبية، والوحدة الوطنية إلى مقاطعات طائفية تحكمها الدولة بالتراضي مع زعماء الطوائف المحليين. وبقيت التوصيات التنموية التي نص عليها اتفاق الطائف حبراً على ورق، ومنها اللامركزية الإدارية، وتعزيز دور الجامعة اللبنانية، والتوافق على كتاب التربية الوطنية والتاريخ المدرسي الموحد، وغيرها. وتمخض اتفاق الطائف عن تبدلات دستورية ذات طابع طوائفي فكّكت ركائز النظام السياسي وأدت إلى إضعاف مركزية الدولة اللبنانية ومؤسساتها. وعاش اللبنانيون مرحلة الخوف الدائم على المصير في دولة لم تعد تتمتع بالحد الأدنى من سمات الدولة العصرية القابلة للاستمرارية بصيغتها الراهنة.²

¹ الياس فرحات، أزمة الهوية في المنطقة العربية: (لبنان مثالا)، مجلة تحولات المجتمع والانسان، 11 مارس 2015 على الموقع:

<http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=916&fbclid=IwAR0oiLVYK5hmJVP>

RfVcqnO3ZIQN9QhjQK0aSXxe0u0lc21uoZUWA36HMKyo شوهده بتاريخ: 20.05.2019، على

الساعة: 22.15.

² مسعود ضاهر، مرجع سبق ذكره، ص 90.

وكما تشكل مشكلة الطائفية والهوية حجر عثرة في بناء لبنان واحد وسيد وسبب للانقسام الداخلي فإنها تشكل ايضاً مبرراً مناسباً لتدخل قوى خارجية أجنبية، فأغلبية الطوائف في لبنان ترتبط بارتباطات سياسية في دول أجنبية، فالشيعية على ارتباط وثيق بإيران، والسنة على ارتباط بدول الخليج كالسعودية، كما ان الدروز على ارتباط ببريطانيا والمسيحيون عموماً يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بفرنسا.¹

يؤكد تفاقم الأزمة الراهنة في لبنان اليوم، وفي ظروف إقليمية ودولية بالغة الخطورة، أن النظام السياسي اللبناني يفتقر إلى قيادات وطنية جامعة، وإلى مؤسسات مركزية قوية تحصن اللبنانيين من أخطار الانجرار السهل وراء قيادات مذهبية لا تتورع عن إشعال حرب أهلية دفاعاً عن مصالحهم. وهي تعتمد أسلوب الإحراج المتبادل لمنع أي إصلاح جذري، مما أدى إلى تفكك مؤسسات الدولة اللبنانية التي بنيت على ديمقراطية توافقية لضمان مصالح زعماء الطوائف وليس مصالح المواطنين وحماية التعددية والتنوع.

لا يزال تقسيم الدوائر الانتخابية أسير صيغة اتفاق الطائف، وهو يتناقض جذرياً مع أبسط أشكال الديمقراطية وحقوق المواطن. وقد فصلت الدوائر على مقياس زعماء الطوائف ومصالحهم الشخصية. وباتت النتائج النهائية معروفة سلفاً لعدد كبير من المقاعد النيابية قبل إجراء العملية الانتخابية نفسها، مما ساعد على استمرار الأزمة اللبنانية عبر التجديد لقياداتها الميليشيوية التي عجزت عن تحصين لبنان من أخطار الصراعات الإقليمية والدولية المتفجرة برعاية أميركية - عربية - إسرائيلية. بالإضافة إلى اختراق صهيوني متزايد للطبقات السياسية الحاكمة على امتداد العالم العربي، والاهتزاز الأمني في غالبية الدول العربية التي باتت عرضة لأزمات داخلية وأخرى وافدة من وراء الحدود، مما جعلها عرضة لإملاءات خارجية ذات أهداف غير عربية، لا بل ضد مصالح الشعوب العربية. وهناك شعور كبير بالعجز عن إصلاح النظام السياسي الطائفي لدى الغالبية الساحقة من المثقفين اللبنانيين

¹ قادري حسين، لبنان: الحرب الأهلية والتدخلات الخارجية، ط1، الجزائر: دار قاعة للنشر والتوزيع، 2008، ص 21.

بسبب غياب المشروع الوطني الجامع لدى فريقي الموالاة والمعارضة معا، وانعدام قدرة قوى التغيير الجذري لدى أحزاب ومنظمات المجتمع المدني في إيجاد موقع لها في التركيبة السياسية المتناحرة على السلطة. وبعدها رفض زعماء الطوائف التوافق على قانون جديد للانتخاب.¹

في فترة ما بعد الطائف وظهور بدعة الترويكما لم يقتصر الصراع على المناصب بين السنة والموارنة بل اصبح صراعا ثلاثيا بدخول الشيعة كطرف ثالث ويستتبع ذلك بمطالبة الطوائف الاصغر حجما الاخرى بحصص لها وما نشهده اليوم من صراع حتى بين حلفاء الصف الواحد حول التعيينات والمراكز والأسماء، هو دليل إلى ما آل إليه حالة الطائفية ما جعل المسيحيين يعودون الى قانون عام 1960 بأن ينتخب المسيحي المسيحي، والمسلم المسلم، ومن الطبيعي في ظل النظام الطائفي القائم ان يكون الفرد مجبرا على البقاء ضمن دائرته الضيقة او ان تكون له مصلحة في البقاء ضمنها ولا يكون لكفاءة الافراد ومؤهلاته في النظام المذكور فرص للنهوض ببلدهم، حيث تنشأ المحسوبية والمحاباة وعلاقة تربط المواطن بالدولة الطائفية ومؤسساتها عبر الزعيم الطائفي أو الحزب الطائفي، وكل هذا يغيب مبدأي العدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص فتمتلى الإدارات بموظفين غير اكفاء يستمدون نفوذهم من زعيمهم الطائفي.²

إذا كان اللبنانيون قد حققوا بعد نحو من نصف قرن هوية وطنية متفقا عليها فهي تتعرض لهجمة شرسة. فصعود الاحزاب الدينية بعد الاجتياح الاسرائيلي عام 1982 وفشل احزاب الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية في صد الاجتياح ادخل واقعا جديدا وهو نمو الهوية

¹ مسعود ضاهر، مرجع سبق ذكره، ص 95.

² عبد الرؤوف سنو، خيارات لبنان المستقبل: (النظام الطائفي، الفدرالية ام الدولة المدنية)، 13 افريل 2012 على الموقع:

<http://www.lebanonfiles.com/news/365304> تم الاطلاع عليه يوم: 04.05.2019 على الساعة 21:30.

الدينية على حساب الهوية الوطنية وتوسع ظاهرة التدين وممارسة الطقوس والشعائر الدينية وتخلي قسم كبير من العلمانيين والقوميين والشيوعيين عن علمانيتهم ورجوعهم الى الاصل الديني. تغلب الانتماء الديني، أحضر معه الخلافات المذهبية التي أسهمت ايدولوجيا القاعدة بتعميمها. في الإسلام الشيعي بأن هناك أزمة أممية شيعية لأن إيران الدولة الشيعية الأكبر والتي تشكل رابطاً دينياً هاماً هي في الحقيقة لا تعتبر امتداداً ثقافياً للشيعية العرب فكانت العلاقات السياسية قوية بينما العلاقات الاخرى متفاوتة. اما عند المسلمين السنة فقد اكدوا تمسكهم بلبنان ربما بسبب الخصومة مع سوريا التي تحولت الى انحسار للفكر القومي العربي السائد لديها. لكن غزوة التطرف الديني جعلت البعض يقدم الهوية المذهبية على الهوية الوطنية وهذا ما حصل عند بعض اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين. لم يعد المتشدد لبنانيا ولا سوريا ولا فلسطينيا انما اتخذ هوية مذهبية وصلت عند بعض الفلسطينيين ان يترك اراضي 1948 الرازحة تحت الاحتلال الاسرائيلي ويذهب الى سوريا ليقا تل من أجل المذهب.¹

¹ الياس فرحات، مرجع سبق نكره.

• خلاصة الفصل الثاني:

إن معضلة البعد الهوياتي في الشرق الوسط قد تصاعدت بشكل أدى لبروز تجاذب و استقطاب سياسي بعد سقوط الدولة العثمانية و بداية عهد الوصاية الفرنسية و البريطانية اللتان دعمتا الانتماءات الطائفية الضيقة في شكليها العرقي و الديني و هذا ما كان له تأثير و انعكاس سلبي على وحدوية دولتي لبنان و العراق اللتان لم تسطيعا تجاوز الخلافات و تصنع هوية وطنية جامعة تتجاوز كل الحساسيات و تضيي طابع الدولة الحديثة و تمدن العمل السياسي و ترسخ النظم الديمقراطية التي تتميز بقدرتها الكامنة على تحويل التعدد و التنوع الطبيعي للمجتمع إلى ثروة وطنية لتنمية و نهضة المجتمع و تحويل الصراع و التقاطع الطائفي إلى احتشاد منظم نحو بوتقة وطنية واحدة .

الخاتمة

إن الهوية في شكلها العام و بطابعها الخاص لا يمكن فك ارتكازها على العديد من المتغيرات المختلفة والمستمرة مهما كانت العلاقة التي تربط بين مختلف العرقيات والطوائف الدينية والسياسية ورغم ما هو حاصل بينها من تنافر إلا أن هناك ما يربط بين مختلف هذه الفواعل عصبويا ووطنيا أي الهوية الوطنية الجامعة هي التي تبقي التحدي الأكبر في وجه الصراعات الطائفية والدينية.

فرغم صعوبة هذا الموضوع الذي تناولناه بالفحص والتحليل في دراستنا هذه فقد حاولنا بقدر ما نستطيع توضيح و تحليل أهم جوانبه وفق للإشكالية المطروحة فهذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة في جانبه التحليلي والدراسي الى ان تخلص الى ارتباطها بمتغيرين رئيسيين والتي كانت على شكل نتائج كما يلي:

(1) يتعلق المتغير الأول بالوحدة الوطنية والسيادة التي تعتبرها الدولة مجالها الأصلي ، ويندرج المتغير الثاني في السياقات الدولية كالتدخل في حماية الأقليات الهوياتية وضمن منطوق التحول في مفهوم الأمن وهذا ما شكل أحد الفواعل التي دفعت بظاهرة الاستقطاب الهوياتي إلى البروز والمطالبة بحق الاستقلال أو الانفصال أو الحكم الذاتي بدعم خارجي الذي يستغل حجة ديمقراطية الحياة السياسية و الدفاع عن حقوق الإنسان .

(2) ويتضح لنا في الفصل الأول أن التخبط في إعطاء تعريف لمفهوم الهوية يدل على ذاتية كل باحث في هذا المجال وإن الاختلافات الموجودة بين العرقيات و الطوائف منعت انتقال هذا المفهوم إلى دائرة المصطلحات المتعارف عليها أكاديميا، ورغم ذلك فإنه يمكن القول بوجود حد أدنى من الإجماع لدى الباحثين على المبادئ الأساسية لهذا لمفهوم.

- (3) أما في الفصل الثاني فيتضح لنا مدى صدقية الفرضيات التي وضعناها حول تأثير البعد الهوياتي على صياغة هوية وطنية جامعة لكل الأفراد و التوجهات السياسية ذات الأصل الطائفي.
- (4) وبالنسبة للمداخل النظرية التي تم توظيفها في الدراسة فقد خلصت إلى التحليل السليم لواقع أثر الهوية في بناء دولة وذلك حسب تحليل المقاربة الإثنية الواقعية والمقاربة النظامية من خلال آراء المفكرين والمنظرين.
- (5) إن توزع الهويات في شكلها العرقي والديني واللغوي قد أثرى الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية للعراق ولبنان في الجانب الايجابي و اسهم تنوع الهويات من الجانب السلبي في تأجيج كل ألوان الصراع السياسي وصولاً إلى النزاعات المسلحة.
- (6) وإن كل تركيبة بشرية أو طائفية تؤمن بأن جنسها هو الأرقى ودينها هو الأسمى أو طائفها هي الأكثر موافقة للواقع يفرض التصادم مع باقي المكونات من عرقيات وطوائف ليشكل بيئة جالبة لكل أنواع التدخل الخارجي كما حالة العراق و لبنان.
- (7) إن معضلة الهوية التي تصاعدت في المجتمعات جعلت منها أهم أداة في أيدي السياسيين والطامحين للوصول إلى مبتغياتهم الشخصية فحدا بهم ذلك إلى الاستعانة بالقوى الخارجية.
- إن الحل في لبنان والعراق حل واحد هو التوافق على هوية وطنية جامعة غير مفرقة تتوخى وحدوية الوطن وسلامة شعبه وأراضيه.

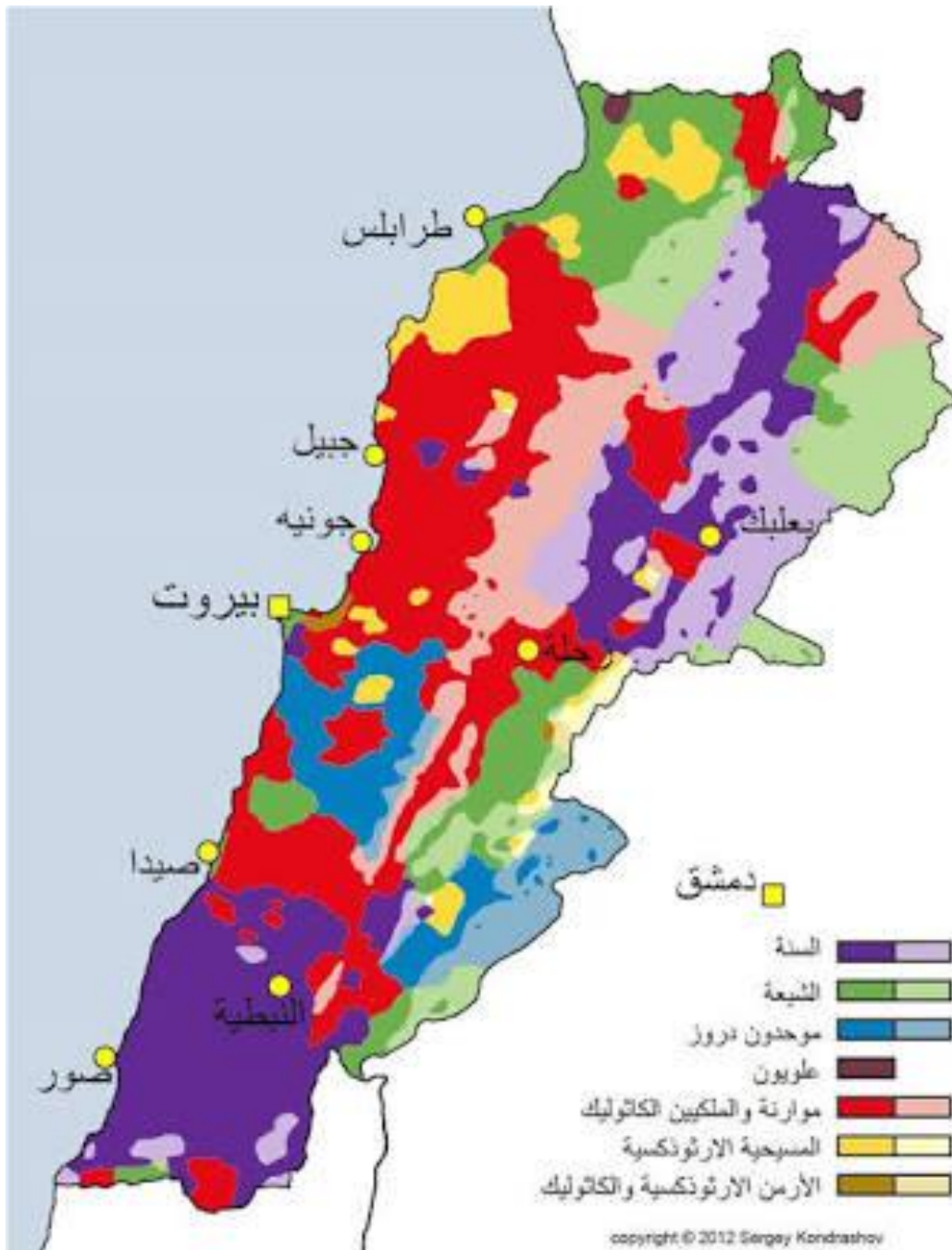
الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة التوزيع الطائفي و العرقي في العراق



<https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/cdbe4bea-012c-47ad-be95-dcbc56fee526>

الملحق رقم (02): خريطة التوزيع الطائفي في لبنان



<https://www.sasapost.comethnic-groups-map>

قائمة المراجع

أولاً: الموسوعات

1. محمد الجابري، موسوعة دول العالم، ط1، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000 .

ثانياً: الكتب

2. أحلام بيضون ، إشكالية السيادة والدولة (نموذج لبنان) ، بيروت : مطابع يوسف بيضون ، 2008 .

3. اسماعيل نوري الربيعي ، التاريخ والهوية : اشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، ط1، بيروت : دار الحامد للنشر والتوزيع ، 2002 .

4. أنطوني غدنيز كارين بيردسال : علم الإجتماع ، ترجمة : فايز الصباغ ، 2005، المنظمة العربية للترجمة ، عمان .

5. برهان غليون ، اغتيال العقل (محنة الثقافة العربية) ، ط 1، بيروت : المركز العربي الثقافي، 2004 .

6. برهان غليون ، حوارات من عصر الحرب الاهلية ، ط 2، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995.

7. حسان بن نوي ، تأثير الأقليات على الاستقرار والنظم السياسية في الشرق الأوسط ، ط1، الجزائر: مكتبة الوفاء القانونية، 2015 .

8. حسان بن نوي ، تأثير الأقليات على الإستقرار والنظم السياسية في الشرق الأوسط ، ط 1، مكتبة الوفاء القانونية، 2015، الجزائر .

9. حمدي الطاهر، سياسة لبنان في الحكم ، ط1، القاهرة : المطبعة العالمية للنشر، 1979.

10. رغيد الصلح، الهوية الوطنية وتكوين الدولة، ط 1، بيروت: دار الساقى للنشر، 2006.
11. شاكر مصطفى سليم، قاموس الانطربولوجيا: انجليزي عربي، ط1، الكويت: جامعة الكويت، 1981.
12. صمويل هينتغتون، من نحن ؟: المناصرة الكبرى حول امريكا، ترجمة: احمد مختار الجمال، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009 .
13. صمويل هينتغتون، صدام الحضارات و إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: مالك عبيدة أبو شهيوه، ط1، مصراته، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع 1999.
14. عبد الله العروى، مفهوم الدولة، ط 5، بيروت: دار الساقى للنشر، 1993.
15. عبد الله الفتوني، تاريخ لبنان الطائفي، ط1، بيروت: دار الفارابي، 2013.
16. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية: قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، القاهرة: دار مجدالوي للنشر، 2004.
17. غيه رميا، معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، ترجمة: هيثم اللمع ، ط1، بيروت: المركز العربي للترجمة، 1991.
18. فارس هاني، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، ب.ط، بيروت :الأهلية للنشر والتوزيع، 1980.
19. فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الاخير، ترجمة: فؤاد شاهين و آخرون، ط1، بيروت: مركز الانماء القومي، 1993.

20. قادري حسين، لبنان: الحرب الأهلية والتدخلات الخارجية، ط1، الجزائر: دار قانة للنشر والتوزيع، 2008 .
21. محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، ط3، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000 .
22. محمد نصر مهنا، الاتجاهات المعاصرة في تطور السياسة، دار الوفاء، لنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007 .
23. مسعود ضاهر، استقلال لبنان في حقائقه التاريخية وميثاقه الوطني، ط3، بيروت: دار الفارابي اللبنانية، 1977.
24. اليكس ميكشلي، الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط1، دمشق: دار الرسيم للخدمات الطباعية، 1993.

ثالثا: الجرائد

25. حسن درويش العدلي، المواطنة ودورها في ترسيم الوحدة الوطنية : اشتراطات تغدو سجنًا للحرية، جريدة الصباح البغدادية، ع 1319، 12 فيفري 2008 .

رابعا: المقالات

26. ادونيس عكرة، البحث عن الهوية والعنف، (ندوة الهوية: الهوية هل هي نقلة ؟)، مجلة الفكر العربي المعاصر (ملف الهوية).
27. ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية، العدد 1، المجلة 8، الكويت، سنة 2009.

28. حبيب الصالح المهدي، دراسة في مفهوم الهوية، عن مركز الدراسات الإقليمية، هيئة التعليم التقني.
29. حسين درويش العدلي، بناء الدولة (إعادة الإنتاج وإعادة التماهي)، مجلة الوطن والمواطنة والتعايش، مركز الوطن للدراسات، السنة الأولى، العدد 1، أوت 2007.
30. خيرات البيضاوي، دور الدستور اللبناني في تفجير الحرب الأهلية، مجلة شؤون فلسطينية، ع (59)، 1976.
31. مجاهد الطائي، هل لازلت عراقياً، مقالات مفهوم الهوية العراقية، 2016/01/19

خامسا: المواقع الإلكترونية

- 4.32. رندا مصطفى، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، 02.10.2018، على الموقع: <http://mawdoo3.com/>، اطلع عليه يوم: 03.06.2019، على الساعة: 21:30.
- 6.33. بيلين فرنانديز، لبنان: ربع قرن على اتفاق الطائف، ب.ط، 6 نوفمبر 2014 على الموقع: <http://www.noonpost.org/content/4202> تم تصفح الموقع: في 30 ماي 2019 .
34. <http://www.lebanonfiles.com/news/365304> تم الاطلاع عليه يوم: 04.05.2019 على الساعة 21:30.
35. إلياس فرحات، أزمة الهوية في المنطقة العربية: (لبنان مثالا)، مجلة تحولات المجتمع و الإنسان، 11 مارس 2015 على الموقع:

<http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=916&fbclid=IwAR0oiLVYK5hmJVPRfVcqnoO3ZIQN9>

شاهد بتاريخ: QhjQK0aSXXe0u0lc21uoZUWA36HMKyo

20.05.2019، على الساعة: 22.15.

36. باسم عبد عون فاضل، صراع الهويات و أثره على بناء الدولة العراقية، مركز

الفرات للدراسات، موقع <http://www.fcdrs.com/> تم الاطلاع عليه يوم:

14.05.2019 على الساعة 20:30.

37. باقر محمد جاسم، الهوية الوطنية محاولة في التعريف الوظيفي، الحوار المتمدن

نشر بتاريخ 22.12.2008 على الموقع:

<http://www.m.ahewer.org.com> اطلع عليه يوم: 27.05.2019

على الساعة: 23.14.

38. خارطة التوزيع الطائفي في العراق،

[https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/cdbe4bea-012c-](https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/cdbe4bea-012c-47ad-be95-dcbc56fee526)

47ad-be95-dcbc56fee526 تم الإطلاع عليه يوم: 30.05.2019 على

الساعة 21:30.

39. خارطة التوزيع الطائفي في لبنان،-[https://www.sasapost.comethnic-](https://www.sasapost.comethnic-groups-map)

groups-map تم الاطلاع عليه يوم: 14.05.2019 على الساعة 20:30.

40. عاصم بدر الدين، لبنان بلد الألف هوية، الحوار المتمدن، 15.08.2007 من

الموقع: <http://www.ahewar.org/> شاهد بتاريخ: 20.05.2019 على

الساعة: 23.50.

41. عبد الرؤوف سنو، خيارات لبنان المستقبل: (النظام الطائفي، الفدرالية ام الدولة

المدنية)، 13 افريل 2012 على الموقع:

42. كامل داود، مقارنة الى مفهوم الهوية الوطنية، الحوار المتمدن نشر بتاريخ

22.12.2008 على الموقع: <http://www.m.ahewer.org.com> اطلع

عليه يوم: 27.05.2019 على الساعة: 23.14.

43. مجموعة من الباحثين، تطور مفهوم الهوية، من الموسوعة الجزائرية للدراسات

السياسية و الاستراتيجية، على الموقع: <https://www.politics-dz.com/>

اطلع عليه يوم: 25.07.2019، الساعة: 20:00.

سادسا : المذكرات و رسائل التخرج :

44. حيزية بركات، أزمة الهوية الطائفية في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، مذكرة

ماستر علوم سياسية وعلاقات دولية، جامعة المسيلة، 2016/2015 .

45. سمية بلعيد، النزاعات الإثنية في إفريقيا، جمهورية الكونغو نموذجا، رسالة

ماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية 2009،2010 .

46. عبد الحليم موساوي، المركز القانوني للأقليات في القانون الدولي لحقوق

الإنسان، رسالة ماجستير، قانون دولي، كلية الحقوق، جامعة تلمسان- الجزائر،

2008-2007 .

47. عياد محمد سمير، مستقبل النظام الإقليمي العرب يبعد الاحتلال العراقي، رسالة

ماجستير، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2005/2004.

48. هاجر ختال، تدخل الأمم المتحدة لوقف انتهاكات حقوق الانسان في كردستان العراق عام 1991، رسالة ماجستير قانون دولي، كلية الحقوق، جامعة عنابة- الجزائر.

الفهرس

فهرس المحتويات

	الشكر والتقدير
	إهداء
أ-ك	مقدمة
الفصل الاول: الإطار المفاهيمي والمداخل النظرية لمفهوم الهوية وعلاقته ببناء الدولة	
12	تمهيد
13	المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لمفهوم الهوية.
13	المطلب الأول: مفهوم الهوية وماهيتها.
17	المطلب الثاني: وظائف الهوية ودورها وعناصرها.
22	المطلب الثالث: مستويات الهوية وعلاقتها ببعض المفاهيم الأخرى.
30	المبحث الثاني: المداخل النظرية المفسرة للهوية وعلاقتها بنشأة الدولة.
30	المطلب الأول: المقاربة الاثنية الواقعية.
33	المطلب الثاني: المقاربة التنظيمية.
38	المطلب الثالث: علاقة الهوية بنشأة الدولة.
42	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: ازمة الهوية وعلاقتها ببناء الدولة العراقية واللبنانية	
44	تمهيد
45	المبحث الأول: نشأة الدولة العراقية و إنقسامها الهوياتي و الطائفي .
45	المطلب الأول: نشأة الدولة العراقية الحديثة .
46	المطلب الثاني: أهم الهويات الطائفية في العراق .
48	المطلب الثالث : صراع الهويات و أثره على بناء الدولة العراقية .
58	المبحث الثاني: نشأة الدولة اللبنانية واهم تقسيماتها الهوياتية والطائفية.
58	المطلب الأول: نشأة الدولة اللبنانية تاريخيا.
61	المطلب الثاني: اهم تقسيماتها الهوياتية والطائفية.

70	المطلب الثالث: أثر الهوية الطائفية في بناء الدولة اللبنانية.
75	خلاصة الفصل
76	خاتمة
78	الملاحق
79	ملحق رقم 1 خارطة التوزيع الطائفي في العراق
80	ملحق رقم 2 خارطة التوزيع الطائفي في لبنان
81	قائمة المصادر و المراجع
	الملخص

ملخص:

وقفت هذه الدراسة بالفحص والدرس عند أثر البعد الهوياتي على بناء الدولة الحديثة مستشفة ذلك من الحالة العراقية واللبنانية، إذ أن تاريخية تجذر الخطاب الهوياتي وتصاعده مع تتابع الصراعات والتدخلات الخارجية. يعبر بصدق عن تدافع القوى الأجنبية على الساحة العراقية واللبنانية ممثلة بمختلف الأيديولوجيات والولاءات للخارج وهذا ما أسهم في وأد أي مشروع وطني جامع لبناء هوية وطنية ترسخ وجود كلتا الدولتين .

الكلمات المفتاحية: الهوية، الدولة، بناء الدولة.

Abstract:

This study stood by examining and studying the impact of the dimension of identity on the building of the modern state, as it is evidenced by the Iraqi and Lebanese situation, The historical roots of the discourse of identity and its escalation with the succession of conflicts and external interventions express truthfully the defiance of foreign forces on the Iraqi and Lebanese areas and it is represented by various ideologies and loyalties to the outside. This contributed to the destruction of any national project to build a national identity that would consolidate the existence of both countries.

Key words: Identity, state, state building